مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

آيات مَثَلِ الحياةِ الدّنيا في القرآن الكريم
تفسيرًا تحليليًا

الدكتور مُحَمَّد أديب مُحَمَّد شكور محمود امرير
أستاذ مشارك في قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية، بكلية العلوم والآداب، فرع الكامل، جامعة جدة

ملخص البحث. تتنوع أساليب الخطاب القرآني؛ تقريبًا للمعاني، وتسهيلاً للفهم، وتبليغًا للمحتوى، ومن هذه الأساليب أسلوب المثال، الذي يقرب الصورة إلى الأذهان بسهولة ويسر.
وقد تمسك أكثر الناس بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها، حتى أصبحت هدفهم، وتركوا الحياة الآخرة، بل كفروا بوجود حياة أخرى، ومن هنا جاء الخطاب القرآني بأمثلة ثلاثة تتحدث عن مثل الحياة الدنيا في ثلاث سور، هي: يونس آية (٢٤)، والكهف آية (٤٥)، والحديد آية (٢٠)، يبين فيهن أن الحياة الدنيا هي غرور فانية قصيرة، لا أمان لها ولا استقرار، سريعة الزوال، وأن ما فيها من زخارف وزينة وأموال وأولاد ما هي إلا أمور فانية لا فائدة منها إلا ما كان في طاعة الله تعالى ورضوانه، وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الأبدية المستمرة، التي لا انقطاع فيها، وهي الحياة الآخرة، والتي يكون فيها مصير الإنسان الأبدي إما إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أو عذاب شديد مستمر غير منقطع.
وجاء البحث مقسمًا على الشكل الآتي: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، فالتمهيد تحدث عن معنى المثل في اللغة والاصطلاح، وأنواع المثل، وأنواعه في القرآن، ...، والمبحث الأول: تحدث عن آية سورة يونس، والمبحث الثاني: عن آية سورة الكهف، والمبحث الثالث: تحدث عن آية سورة الحديد، وتضمن الحديث في المباحث الثلاثة على تحليل للآيات من حيث ارتباط كل آية بما قبلها وبما بعدها، وسبب ومكان نزولها، ومعاني المفردات، والإعراب لبعض الكلمات، والبلاغة، والمعنى العام، ثم الهدايات، وختم البحث بالخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.
الكلمات المفتاحية: مثل الحياة الدنيا، المثل في القرآن، التفسير التحليلي، امرير

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الدكتور مُحَمَّد أديب مُحَمَّد شكور محمود امرير

المقدمة

الحمد لله الحكيم المتعال، نزّل القرآن الكريم وضرب فيه الأمثال، وجعل الحياة ممرًا ليكون إليه المرجع والمآل، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، نَزَلَ عليه القرآن، وبلغه للناس على اختلاف ألسنتهم والألوان، وعلى صحبه الغر الميامين الأبرار، والتابعين، ومن تبعهم إلى يوم تشخص فيه الأبصار، وبعد:

فقد استعمل القرآن الكريم أساليب عدة في الخطاب؛ ليصل إلى الناس بأسهل الطرق وأفصحها وأقربها لهم، فيدخل إلى القلوب، وينير الأبصار، ويصلوا إلى رضوان الواحد القهار، ومن الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في الخطاب، أسلوب التمثيل، والذي يقرِّب الصورة إلى النفس بسهولة ويسر.

يتمسك الناس بالحياة الدنيا والعيش فيها، ويُلههم الأمل، فيعيش من أجلها، ومن أجل زينتها وزخارفها؛ لتبدو له الحياة حلوة نضرة، تسر الناظرين، فيغفل عن كونها فانية منقطعة، لا تدوم لأحد، ويغفل عن الحياة الحقيقية المستمرة، حياة الخلود، لا فناءَ فيها ولا انقطاع، ويحتاج الأمر إلى تقريب صورة هذه الحياة الدنيا؛ ليستعد الناس لحياة الخلود إلى الحياة الآخرة، خلود بلا موت، فإما جنة عرضها عرض السماوات والأرض، أو نار وقودها الناس والحجارة.

استعمل القرآن العظيم أسلوبًا من أساليبه المتنوعة، وهو أسلوب المثال؛ لبيان أن هذه الدنيا لا أمان لها، ولا استقرار فيها، وأنها فانية، سريعة الزوال، تتزين وتتزخرف وتعجب أصحابها ويغترون بها، وتروقهم زينتها، ثم ما تلبث أن تزول بكل تلك الزخارف والزينة، فلا يبقى إلا ما عمله الإنسان لدار البقاء، الدار الحيوان؛ ليأخذ جزاءه على ما عمل وقدَّم.

وقد ضرب الله في كتابه مثل الحياة الدنيا في ثلاث آيات كريمات، ليصور لنا الحياة الدنيا تصويرًا حسِّيًّا واقعيًا، مشاهدًا للناس في كل مكان في هذه الأرض.

سبب اختيار البحث:

١ – الرغبة الملحة في تفسير هذه الآيات الكريمات، ومعرفة أسرار ضرب هذه الأمثال للحياة الدنيا، والمغزى منها.

٢ – بيان ما تضمنته الآيات الكريمة من هدايات وفوائد. الغوص في غمار التفسير التحليلي لتلك الآيات الكريمات، واستنتاج الهدايات منها.

٣ – بيان بعض الفروق بين الآيات الكريمات في تمثيلها للحياة الدنيا،

٤ – معرفة أن الأمثلة الثلاثة هي مثل واحد تكرر في ثلاثة مواطن أم لا.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

حدود البحث:

اخترت الآيات الكريمات الثلاث التي نص القرآن الكريم على أنها مثل وهي: الأولى في سورة يونس عليه السلام آية رقم (٢٤)، الثانية في سورة الكهف آية رقم(٤٥)، والثالثة في سورة الحديد آية رقم (٢٠).

منهج البحث:

تم استخدام منهجين خلال دراسة الآيات الكريمات، وهما:

١ – المنهج الاستقرائي في البحث في أقوال المفسرين وغيرهم في معنى الآيات الكريمات.

٢ – المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الآيات تحليلاً تامًا، من حيث اللغة والبلاغة والتفسير.

أهداف البحث:

١ – إيضاح تفسير الآيات الكريمات، والفروق بينها.

٢ – استنباط الهدايات التي تزخر بها الآيات الكريمات.

٣ – بيان أسلوب القرآن الكريم في استعمال المثل، وطريقة إيصاله الخطاب.

أسئلة البحث:

١ – ما التفسير التحليلي للآيات الكريمات؟

٢ – هل هناك اختلاف في أسلوب الآيات في الخطاب؟

٣ – ما الهدايات التي نَفِيدُها من الآيات الكريمات؟

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما لدي من مصادر بعد وسع البحث تفسيرًا تحليليًا لهذه الآيات بشكل مستقل، وإنما وجدت في بعض الكتب التفسيرية والتي تضمنت الحديث عن تفسير هذه الأيات، أو الكتب التي تحدثت عن الأمثال في القرآن الكريم وأقتصر على مثالين من كتب الأمثال التي ذكرت مثل الحياة الدنيا:

١ – كتاب الأمثال في القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، من ص١٨٤-١٨٦: تحدث فيه عن مثل الحياة الدنيا أيضًا بشكل مختصر بعد ذكره لآية سورة يونس، وأن الله تعالى شبّه الحياة الدنيا وزينتها وبهرجتها في عين الناظر إليها، فيهواها، ويغتر بها حتى إذا ظن أنه مالك لها، سلبها منه بغتة كمثل الأرض التي ينزل عليها الغيث، فتعشب ويحسن نباتها، فيروق له منظرها، ويظن أنه مالكها، وتحت قدرته فتأتيها آفة بغتة فتصبح كأن لم تكن...

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

٢ – كتاب (الأمثال في القرآن الكريم) للدكتور مُحَمَّد جابر الفياض (ت١٤٠٧هـ) من ص٢٧٩-٣١٥: تحدث عن الآيات الثلاث بشكل موسع نوعًا ما، ركز فيه على دراسة الأمثال من حيث الممثَل والممثَل به، أهو الأرض أم الماء أم الأرض، ورجح في المثل أنه تشبيه مركب وهو ما رجحه البلاغيون، بمعنى أن كل جملة مشبهة بأختها في المثل والممثل به.
ثم تحدث عن بعض الفروق بين الأمثلة الثلاثة، وأن كل مثال له خاصيته التي يحددها السياق للآية بما سبقها وبما بعدها.
وتختلف دراسة الدكتور الفياض عن دراستي بطريقة التقسيم والعرض والاختلافات ما بين الآيات الثلاث، واهتمام دراستي بالجانب التفسيري التحليلي للآيات، بينما دراسته اهتمت أكثر بالجانب اللغوي أكثر من الجانب التفسيري، وتضمن كل مبحث من المباحث الهدايات التي ترشد إليها كل آية، وكذلك النتائج التي توصل إليها الباحث، والتوصيات.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وهي على الشكل الآتي:
المقدمة وتشمل: أهمية البحث، وسبب اختيار البحث، وأهدافه، ومنهج البحث وخطة البحث.
التمهيد: المثل وأهميته.
المبحث الأول: تفسير آية سورة يونس (٢٤).
المبحث الثاني: تفسير آية سورة الكهف (٤٥).
المبحث الثالث: تفسير آية سورة الحديد (٢٠).
ويختم البحث بالنتائج والتوصيات.

التمهيد: مفهوم المثل وأهميته

أولاً – المثل لغة: الميم والثاء واللام: أصل صحيح يدلُّ على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مِثْل هذا، أي: نظيره، والمَثَلُ أيضًا، كشَبَه وشِبْه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا؛ لأنه يُذكَرُ مُوَرَّى به عن مثله في المعنى، وقولهم: مَثَّل به: إذا نكَّل به، وهو من هذا؛ لأن المعنى فيه أنه إذا نكّل به، جُعل مثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع... وجمع المثال: أمثلة[(١)]. وفي فروق أبي هلال جعل المثل –بالتحريك– بمعنى الصِّفة، مستشهدًا بقوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتقون" أي: صفة الجنة، وقولك: مَثَل هذا كمَثَل هذا، أي: صفته كصفته، قال الله تعالى: "كمثل الحمار يحمل أسفارًا"[(٢)]. ورد ذلك القول بعضهم كأبي علي إذ

(١) مقاييس اللغة ٥/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال ١٥٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

يقول: "لأن المثل الصفة غير معروف في كلام العرب، وإنما معناه التمثيل، والتقدير لمعنى "مثل الجنة": فيما يتلى عليكم مثل الجنة، من قال: إن معناه صفة الجنة فقد أخطأ؛ لأن مَثَل لا يوضع في موضع صفة، إنما يقال: صفة زيد إنه ظريف، ويقال: مثل زيد مَثَل فلان، والمثل مأخوذ من المثال والحذو، والصفة تحلية ونعت(٣).

ومِثْل: كلمة تسوية، والمماثلة تكون بين المتفقين، فتقول: فِقْهُ فلان كفقه علان، فإن قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسدَّه، وإذا قيل: هو مثل في شيء معين، فهو مساو له من تلك الجهة دون غيرها، والمِثْل والمَثَل بمعنى واحد(٤).

والمثل –بفتحتين– لغة، اسم لنوع من الكلام، وهو ما تراضاه العامة والخاصة؛ لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ(٥).

والظاهر مما جاء في مادة (م ث ل) يتضمن معنى المماثلة، وأنها أصلٌ صحيح يدلّ على مناظرة الشيء بالشيء، كما قال ابن فارس، وأن المثل بالتحريك هو الشّبَه.

ثانيًا – المثل اصطلاحًا:

يقول أبو هلال العسكري في الجمهرة: " كل حِكْمَةٍ سائرة مَثَلٌ، وَقد يَأْتِي الْقَائِل بِمَا يحسن أَن يتَمَثَّل بِهِ إِلَّا أَنه لَا يتَّفق أَن يسير فَلَا يكون مثلاً"(٦).

قال ابن السِّكّيت: "المثل يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره"(٧).

فالمثل هو: القول الشائع بين الناس، يُضرب لمشابهة حالة لاحقة بحالة سابقة، ولا يراد به المشابهة التامة، وإنما الشمابهة في الغاية والمغزى.

ثالثًا – المثل في القرآن:

يقول ابن القيم رحمه الله: "وأنها شبيهة شيء بشيء في حُكْمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر"(٨).

---

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ٦١٢/١١.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ٦١٠/١١.

(٥) الكليات؛ لأبي البقاء ٨٥٢.

(٦) جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري ٧/١.

(٧) فرائد اللآل في مجمع الأمثال، الطرابلسي ١٠/١.

(٨) الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم ١٧٣-١٧٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

وعرفه القطان في المباحث: "هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا"(٩).

أقول: والمثل في القرآن هو الكلام الذي يراد منه تصوير واقعة، أو حالة، أو شخص؛ ليتعظ القارئ والسامع بتلك الصورة القرآنية، أو ليؤنسهم بها، سواء طال الكلام أم قصر، ويبرز الصورة ويقربها لهم.

أنواع المثل العام:

الأول- المثل السائر: هو الذي يشبَّه به حال الثاني بالأول، أو هو الذي يُشبه مضربُه بموردِه.

الثاني- المثل القياسي: فهو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية؛ لتوضيح فكرة عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب.

الثالث - المثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان؛ لغرض تعليمي أو فكاهي، مثل: (أكلت يوم أكل الثور الأبيض).(١٠)

أنواع المثل في القرآن الكريم:

النوع الأول - الأمثال المصرحة: وهي الأمثال التي صرح فيها بلفظ المثل، أو ما له دلالة على التشبيه، كما في الآيات التي نحن في صددها.

النوع الثاني- الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، ويكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشابهها، مثل قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وهذا ما يكون في معنى المثل السائر خير الأمور الوسط.

النوع الثالث – الأمثال المرسلة: وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، وهي آيات جارية مجرى الأمثال، مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، وهذا يضرب على استحالة وقوع الشيء.(١١)

---

(٩) مباحث في علوم القرآن، القطان، ٢٩٢.

(١٠) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية ١٩-٢٠.

(١١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، القطان ٢٩٣-٢٩٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

آيات مَثَلِ الحياةِ الدّنيا في القرآن الكريم تفسيرًا تحليليًا

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

أهمية المثل:

١ - المثل خلاصة وثمرة الأمم وتجارهم.

٢ – تأنس فيه النفس، وتتقبله بسرعه، وتنقاد له.

٣ – الأمثال تصور المعاني والأشخاص؛ فالأعيان والأشخاص أكثر ثباتًا في الأذهان؛ لأن الذهن يستعين بالحواس، على خلاف المعاني المعقولة، إذ إنها تكون مجردة عن الحس، ولا ينتظم المقصود من التشبيه والتمثيل إلا أن يكون المثلُ المضروب مجربًا، ويسلم له السامع.

٤ – للمثل القدرة المؤثرة في انفعالات النفس من خلال براعته في تقريب الصورة، وقدرته على التشخيص.

٥ – بقاء المثل مفتوحًا على مدى الزمن والمكان، لأن فيه رمزية تنطبق على شخوص دون ذكر أسمائهم

٦ – المثل يترجم واقع الناس وآمالها وآلامهم.(١٢).

أغراض المثل القرآني:

١ – إدراك العباد ما غاب عنهم، وتوضيح المراد، وتقريب الصورة لهم، وتسهيل فهمها، فبالمقارنة بين المثالين والحالين تكون الصورة أقرب والعبارة أسهل، وأدخل في النفوس..

٢ – تهدئة النفوس بما أدركت عيانًا لما غاب عن أسماعها وأبصارها؛ ليعقلوا بها.

٣ – لبيان أن الله تعالى عليم بكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].(١٣)

المبحث الأول: تفسير آية سورة يونس (٢٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤]

مناسبة الآية بما قبلها:

---

(١٢) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ١٨٣/١.

(١٣) ينظر: الأمثال من الكتاب والسنة، الحكيم الترمذي ١٣-١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

ذكر الله تعالى في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة أنه هو الذي ينجيهم من الضُّر، سواء في البر أو البحر، وعندما يحاط بهم من كل جانب، ويتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، ويستجيب دعاءهم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ... فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس:٢١-٢٣].

وفي ربط الآية فيما قبلها يوضح الرازي أنّ إتباع الله تعالى الآيات السابقة بهذا المثل العجيب للحياة الدنيا؛ لمن يغتر بالدنيا، ويطغى ويتجبر في الأرض، ويزداد تمسكه بها، ويقوى إعراضه عن أمر الحياة الباقية، والاستعداد لها، فقال تعالى: إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا... (١٤).

أما ابن عاشور فيقول: " هذه الآية تتنزل منزلة البيان لجملة ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[يُونُس: ٢٣] المؤذنة بأن تمتعهم بالدنيا ما هو إلا لمدة قصيرة، فبينت هذه الآية أن التمتع صائر إلى زوال، وأطنبت فشبّهت هيئة التمتع بالدنيا لأصحابها بهيئة الزرع، في نضارته، ثم في مصيره إلى الحصد"(١٥).

"لما كان سبب ما ذكر من البغي في الأرض وإفساد العمران، هو الإفراط في حب التمتع بما في الدنيا من الزينة واللذات، ضر لها مثلاً بليغًا يصرف العاقل عن الغرور بها، ويهديه إلى القصد والاعتدال فيها، واجتناب التوسل إليها بالبغي والظلم، وحب العلو والفساد في الأرض"(١٦).

مناسبة الآية لما بعدها:

بعد أن بين الله تعالى أن الدنيا عبارة عن متاع، وهي كماء أنزله من السماء إلى آخر المثل للحياة الدنيا، وحثَّهم على التفكر في تلك الآيات العظيمة، ونفّرهم منها، وعن الميل إليها، أتبعها بالآية التي تليها بحديثه عن الآخرة ترغيبًا لهم بها، ففيها دار السلامة عن كل مكروه، وهي الجنة، وحثهم على العمل لها؛ لأنها الدار الحقيقية التي يُعاش فيها، ويُرغب فيها (١٧)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤].

---

(١٤) ينظر: التفسير الكبير، الرازي ٢٣٦/١٧.

(١٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤١/١١.

(١٦) تفسير المنار، مُحَمَّد رشيد ٢٨٤/١١.

(١٧) ينظر: التفسير الكبير، الرازي ٢٣٨/١٧، وإرشاد العقل السليم، أبي السعود ١٣٧/٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

ولما ذكر الله تعالى حال الدنيا، وحاصل نعيمها، شوّق إلى الدار الباقية، [وفي هذه الآية] عمَّ تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك، والترغيب، وخصَّ بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاءه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسل(١٨).

معاني المفردات:

السماء: مأخوذ من الثلاثي (سمو)، وهو أصل يدل على العلوّ، تقول: سما الشخص سموًّا: ارتفع، والعرب تسمي السحاب: سماء، والمطر: سماء، والسماء: سقف البيت(١٩)، والسماء: كل ما علاك فأظلك(٢٠).

اختلط: الخاء واللام والطاء: أصل واحد يدل على المزج والتداخل، وخلط يخلِط خلطًا: مزجه، وهو أعم من أن يكون في المائعات أو غيرها. وقد يمكن التمييز بعد الخلط في مثل الحيوانات والحبوب، وأصل الخلط: تداخل أجزاء الشيء بعضها في بعض(٢١).

زخرفها: مأخوذ من الفعل الرباعي: زَخْرَفَ، والزّخرف: الزينة، والأصل فيه: الذهب (٢٢)، ثمّ سُمي كلُّ زينة زخرفًا، وشُبّه كل مموه مزوّر بالزخرف، وزخرف البيت زخرفة: زيَّنه وأكمله(٢٣)؛

حصيدًا: من الثلاثي: مأخوذ من الثلاثي: حصَدَ، والحصد: أصله قطع الشيء، والحصد: جَزُّك البُرَّ ونحوه من النبات، وحصاد كل شجرة: ثمرتها، ومنه قول النبي ﷺ: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)(٢٤).

وَازَّيَّنَتْ: من الثلاثي: زَيَنَ، الزاء والياء والنون: أصلٌ صحيح يدل على حُسنِ الشيء وتحسينه، وهو نقيض الشَّين(٢٥)، وتزينت الأرض وازّينت، أي: حسنت وبهجت، وأصل ازينت، تزينت، فسكنت التاء، وأدغمت في الزاي، واجتلبت الألف؛ ليصحّ الابتداء(٢٦).

---

(١٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٣٦٢.

(١٩) مقاييس اللغة، ابن فارس ٩٨/٣.

(٢٠) لسان العرب، ابن منظور ٣٩٨/١٤، وتاج العروس، الزبيدي ٣٠١/٣٨.

(٢١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢٠٨/٢، ولسان العرب، ابن منظور ٢٩١/٧، وتاج العروس، الزبيدي ٢٥٧/١٩.

(٢٢) ينظر: تاج العروس، الزبيدي ٣٧٨/٢٣.

(٢٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣٢/١٩.

(٢٤) أخرجه الترمذي في سننه ٣٠٨/٤ حديث رقم (٢٦١٦)، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة.، وقال: حديث حسن صحيح.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

تَغْنَ: مأخوذ من الثلاثي: غني، والغين والنون والحرف المعتل، أصلان، أحدهما: يدلُّ على الكفاية، وهذا ما يعنينا، فالغنى في المال، والغَنَاء: الكفاية، ولا يغني فلان غناء فلان، أي: لا يكفي كفايته.(٢٧) والغنى ضد الفقر، ورجلٌ مغْنٍ، أي: مجزٍ كافٍ، ومنه: أغنِ عني وجهك بل شرك، أي: اكفني شرَّك، وكفّ عني شرك، ومعنى لم تغن: لم تُعْمَر بالزرع، يقال: غني المكان: إذا عمر (٢٨).

الإعراب:

به: يمكن أن يكون الضمير في (به) عائدًا إلى الماء، أي: فاختلط بسبب الماء. ويحتمل أن يعود الضمير إلى (فاختلط) الذي تضمنه القول.(٢٩)

نباتُ: فيها وجهان، الأول: على أنها فاعل للفعل اختلط، بمعنى: اختلط النبات بالمطر، أي: شرب منه. والثاني: أنه مرفوع على الابتداء لمن وقف على (فاختلط)، فيكون المعنى: اختلط بالماء نبات الأرض فأخرجت ألوانًا من النبات.(٣٠) وقد رد احتمال الوقف على (اختلط) أبو حيان، بقوله: "لا يجوز –الوقف– وخاصة في القرآن؛ لأنه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى، الفصيح اللفظ، وذهابٌ إلى اللغز والتعقيد، والمعنى الضعيف"(٣١).

---

(٢٥) مقاييس اللغة، ابن فارس ٤١/٣

(٢٦) لسان العرب، ابن منظور ٢٠٢/١٣.

(٢٧) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٩٧/٤.

(٢٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٤/١١.

(٢٩) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٤/٣.

(٣٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٢٧/٨.

(٣١) البحر المحيط، لأبي حيان ٣٦/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

البلاغة:

التشبيه: في الآية الكريمة ما يسمى بالتشبيه المركب، وهو تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة، فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده، ولا بأي مفرد من المفردات في التشبيه، إنما المراد أن يشبّه حالَ الدنيا في نضارتها وبهجتها، وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضرًا وارفًا، ثم يهيج فتطيّره الرياح كأن لم يكن(٣٢).

ويوضح ابن عاشور رحمه الله فيقول: "لما شاع إطلاق لفظ المثل –بالتحريك– على الحالة العجيبة الشأن جعل البلغاء إذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة، أعني وصفين منتزعين من متعدد، أتوا في جانب المشبه والمشبه به معًا، أو في جانب أحدهما بلفظ المَثَل، وأدخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما، ... وقلَّما شبَّهوا حالاً مركبة بحال مركبة مقتصرين على الكاف، كقوله تعالى: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد:١٤]، بل يذكرون لفظ المثل في الجانبين غالبًا، ...، وربما ذكروا لفظ المثل في أحد الجانبين، كقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤]؛ وذلك ليتبادر للسامع أن المقصود تشبيه حالة بحالة، لا ذاتٍ بذات، ولا حالة بذات، فصار المثل في تشبيه الهيئة منسيًّا من أصل وضعه، ومستعملاً في معنى الحالة، فلذلك لا يستغنون عن الإتيان بحرف التشبيه حتى مع وجود لفظ المثل، فصارت الكاف في قوله تعالى: (كمثل) دالة على التشبيه، وليست زائدة" (٣٣).

المشبه: هو الحياة الدنيا، والمشبه به: "ما يفهم من الكلام، وهو زوال خضرة النبات فجأة، وذهابه حطامًا لم يبقَ له أثر، بعدما كان غضًّا طريًا قد التف بعضه ببعض، وازينت الأرض بألوانه حتى طمع الناس، وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء" (٣٤).

الاستعارة المكنية: استُعير الأخذ في الآية الكريمة (وأخذت) الذي هو في الأصل حوز الشيء والحصول عليه مع غلبة وقهر،(٣٥) لاشتمال الأرض على بهجة ونضارة وأثواب مختلفة، واستُعير لفظ (الزخرف) وهو الذهب، وهو من الأشياء البهية الجميلة التي تسر الناظر، وعادة ما تتزين به العروس ليلة زفافها، لتزيُّن الأرض بالنبات والأعشاب والأزهار بنضارتها وألوانها المختلفة بالعروس التي تتزين بالحلي والثياب الجميلة في يوم زفافها (٣٦).

---

(٣٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ٢٢٢-٢٢٣.

(٣٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٣/١-٣٠٤.

(٣٤) روح المعاني، الآلوسي ٩٦/٦، وفتح البيان في مقاصد القرآن، للقنّوجي ٤٤/٦.

(٣٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٦٨/١، والفروق اللغوية بين ألفاظ الأخذ في القرآن الكريم، امرير، ١٦٢.

(٣٦) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٣٨/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

القصر: في قوله تعالى: ((إنما مثل))، جاء به لتأكيد المقصود من التشبيه، وهو سرعة الانقضاء، والمعنى: أن حالة الحياة الدنيا مقصورةٌ على مشابهة حالة النبات الموصوف في الآية، فالقصر: قصر قلب(٣٧)، بني على تنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد حالة حالة معاكسة لهذه الحالة(٣٨).

يقول أبو حيان: "وإنما هنا ليست للحصر لا وضعًا ولا استعمالاً؛ لأنه تعالى ضرب للحياة أمثالاً غير هذا، والمثل هنا يحتمل أن يراد به الصفة، وأن يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالأول، والظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا بما فيما يكون به، ويترتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع(٣٩).

أقول: ويمكن أن يكون القصر هنا إضافيًا، بمعنى أنه يختص المقصور بالقصور عليه لا حقيقة، بل بالقياس إلى شيء معين، فمثل الحياة الدنيا هنا هذا، ومقصور عليه ومناسب لسياق الآيات، فلا ينفع أن يكون غيره من الأمثال الأخرى التي مثلت بها الحياة الدنيا، والله أعلم.

المجاز العقلي: أخبر الله تعالى عن حصيد الأرض، والمراد هنا حصيد نبات الأرض، فالأرض لا تحصد(٤٠).

التفسير التحليلي للآية:

عندما أخرج الله تعالى أبانا آدم وأمنا حواء من الجنة، وشاء الله تعالى أن يجعل حياتهم وحياة أبنائهم من بعدهم على هذه الأرض، وجعلها اختبارًا وابتلاءً، حياة انتقالية، يمكث فيها لفترة قصيرة من الزمن، يتزود منها للحياة الحقيقية، وهي الدار الآخرة، وجعل الحياة الدنيا دارَ عمل ومرور، لا قرار ومكوث، وزينها بزخارف وإغراءات تنبهر لها النفوس، فتفتن بمفاتنها وزخارفها ومتعها، فيتلهّي بها عما خلقه الله تعالى من أجله، ألا وهي العبادة وإرضاء الله جل وعز، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقد ولع الكفار والمشركون ومن في حكمهم بهذه الدنيا، وظنوا أنها دارُ الاستقرار، وأن لا بعث، ولا نشور، ولا جنة ولا نار، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، و﴿

---

(٣٧) قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته، نحو: ما سافر إلا علي، ردًا على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي، فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده، جواهر البلاغة، الهاشمي ١٨٤.

(٣٨) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٤/١١.

(٣٩) البحر المحيط، لأبي حيان ٣٦/٦.

(٤٠) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٤/١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس:٧٨]، ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الإنسان:٢٧]، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦﴾ [الأعلى:١٦]، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [النازعات:٣٧-٣٩].

"والحياة الدنيا تطلق على مدة بقاء الأنواع الحية على الأرض، وبقاء الأرض على حالتها، فإطلاق اسم الحياة الدنيا على تلك المدة؛ لأنها مدة الحياة الناقصة غير الأبدية؛ لأنها مقدرة إلى زوال، فهي دنيا، وتطلق الحياة الدنيا على مدة حياة الأفراد، وتطلق الحياة الدنيا على مدة حياة الأفراد ، أي حياة كل أحد ، ووصفها بـ (الدنيا) بمعنى القريبة ، أي الحاضرة غير المستنظرة ، كنى عن الحضور بالقرب ، والوصف للاحتراز عن الحياة الآخرة ، وهي الحياة بعد الموت"(٤١).

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الدنيا بآيات كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر:٥]، ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر:٣٩]، وحذر رسول الله ﷺ من الدنيا بأحاديث، منها ما أخرجه الإمام البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (أن النبيَّ ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ، فقيل له: ما شأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه، قال: فمسح عنه الرحضاء، فقال: أين السائل؟ وكأنه حمده، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل، أو يلم، إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت ورتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، أو كما قال النبي ﷺ، وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة) (٤٢).

ومن الطرق التي حذر الله تعالى بها من الحياة الدنيا، ضربه الأمثال عليها؛ ليبيّن منزلتها وأهميتها، وجاء هذا المثل في سورة يونس عليه السلام:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:

والخطاب موجه في هذا المثل إلى المشركين بالله تعالى، المنكرين للبعث؛ وذلك أن السورة الكريمة مكيَّةٌ، وقد تناولت موضوعات عدّة، وتركَّز الحديث فيها على وحدانية الله تعالى، وتفرده بالقدرة على كل شيء، ولاسيما إعادة الحياة بعد الموت، فقد قال

(٤١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥/٣٣٠-٣٣١.

(٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٢٦ (٢٨٤٢) كتاب الجهاد السير، باب فضل النفقة في سبيل الله، ومسلم في صحيحه ٢/٧٢٨ (١٠٥٢-١٢٢) كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ [يونس:٤]، وآيات أخرى تدل على قدرة الله تعالى على كل شيء، وهذه القدرة العظيمة تستطيع أن تعيد الحياة مرة أخرى للأموات(٤٣).

واختلف العلماء في نوع المثل الذي ضربه الله تعالى في هذه الآية الكريمة، على أقوال:

القول الأول: أن المراد هو مثل فناء الحياة الدنيا وزوالها، وسرعة انقضائها(٤٤). والقول الثاني: المراد مَثَلُ الحياة الدنيا فيما يسر ويبهج. والقول الثالث: المراد مَثَلُ الحياة الدنيا للحياة الدنيا فيما ينفقون فيها(٤٥). والقول الرابع: المراد مَثَلُ تفاخر الدنيا، وزينتها بالمال والبنين إذ يصير إلى الفناء(٤٦). القول الخامس: المراد مَثَلُ صورتها، ومآلاتها(٤٧). القول السادس: ليس المراد تشبيه واحد، أي: تشبيه الحياة الدنيا بشكل عام بالماء أو بغيره، وإنما المراد التفصيل في ذلك؛ لأن التشبيه هنا مركب، فهو يتضمن مجموعةً من التشبيهات متفرقة من أطوار مختلفة، فكل جزء من أجزاء الحالين يشبه جزءًا من أجزاء الآخر، وهذا من بديع التشبيه وهي:

١ – شبه أطوار الحياة من وقت الصبا، إذ ليس ثمة سوى الأمل من نعيم العيش ونضارته، شبهه بحال نزول المطر من السماء؛ كونه سببَ ما يؤمّل منه تزخرف الأرض وزينتها.

٢ – شبّه نضارة العيش، وإقبال زهرة الحياة، باختلاط الماء بنبات الأرض، وخروج الزرع فيما يشاهد من بوارق المأمول؛ وعطف بفاء التعقيب؛ للإيذان بسرعة ظهور النبات عقب المطر، فيؤذن بسرعة نماء الحياة في أطوارها.

٣ – شبّه ما ينعَّم به الناس في الحياة من الملذات، وما ينعّم به الحيوان، فإن له حظًّا في نعم الحياة بمقدار حياته، شبهه بما يأكل الناس والأنعام من نبات الأرض الذي منه أصناف يأكلها الناس من الخضروات والبقول، وأصناف تأكلها الأنعام من العشب والكلأ.

٤ – شبّه رغبات الناس في تناول لذائذ الحياة على اختلاف مراتب الهمم، بالآكل والمأكول، وذلك يتضمن تشبيه معالي الأمور من نعم الدنيا التي تسمو إليها الهمم العوالي بالنبات الذي يقتاته الناس، وتشبيه سفاسف الأمور بالنبات الذي يأكله

---

(٤٣) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم، الفياض ٢٨٤.

(٤٤) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٣٠/٦، والجامع لأحكام القرآن ٤٣٧/٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٣٢٧/٨.

(٤٥) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٣٠/٦.

(٤٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٤/٣.

(٤٧) تفسير المنار، مُحَمَّد رشيد ١٨٤/١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الأنعام، ويتضمن كذلك تشبيه الذين يجنحون إلى تلك السفاسف بالأنعام، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢].(٤٨)

٥ – شبّه الحياة الدنيا بالماء المنزّل من السماء ينبت به النبات وتخضرّ الأرض وتظهر الثمار، ويوطّن أربابها عليها نفوسهم، فتصيبهم جائحة سماوية بغتة، وتصير كأن لم تكن.

كذلك الإنسان بعد كمال سنّه وتمام قوّته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه المنيّة، وكذلك أموره المنتظمة تبطل وتختلّ بوفاته (٤٩).

أقول: ويمكن أن يكون المرادُ كلّ ذلك، فاللفظ عام، والأخذ بعموم اللفظ أفضل من التخصيص؛ لأن القرآن الكريم حمَّال أوجه، وهذا من الاختلاف المحمود، وهو اختلاف تنوع.

قال الله تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

للعلماء في المشبه به أقوالٌ متعدّدةٌ، وهي على الشكل الآتي:

١ – بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطامًا بعدما التف، وزين الأرض بخضرته ورفيفه، فاختلط به.(٥٠)

٢ – سرعة هلاك الزرع، وانقطاعه، وزواله عن صاحبه.

٣ – صاحب الزرع الذي يُسَرُّ، ويبتهج بالزرع، وقرب قطافه له.

٤ – ما ينفقه صاحب الزرع لما يأمل من المنافع، ويطمع منه، ثم ذكر ما كان، ولو علم في الابتداء أن أمر زرعه يؤول إلى ما صار إليه لكان لا ينفق عليه.(٥١)

٥ – المطر الذي ينزل من السحاب، ينبت به النبات وتخضر به الأرض وتظهر الثمار.(٥٢)

---

(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤١/١١-١٤٢.

(٤٩) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري ٨٨/٢.

(٥٠) ينظر: الكشاف، الزمخشري ٣٤٠/٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ١١٠/٣.

(٥١) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٣٠/٦.

(٥٢) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري ٨٨/٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٣٢٧/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

أقول: استعمال الماء هنا في الآية الكريمة يدل من خلال السياق أنه ماء وافر وكثير، بدلالة ما بعده،﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ [يونس:٢٤] وهذا يحتاج إلى وقت طويل نوعًا ما؛ لتصل الأرض إلى هذه الزينة المتكاملة والنضوج التام، فلا بد أن يكون الماء وفيرًا وكثيرًا؛ حتى تشرب النباتات الماء وترتوي منه.

قول الله تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾

يقول الرازي رحمه الله تعالى في تفسيرها: "هذا كلام يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المعني به: نبات الأرض بسبب هذا الماء النازل من السماء؛ وذلك لأنه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من النبات، وتكون تلك الألوان مختلطة، وهذا فيما لم يكن نابتًا قبل نزول المطر.

والثاني: أن يكون المراد منه الذي نبت، ولكنه لم يترعرع، ولم يهتز، وإنما هو في أول بروزه من الأرض، ومبدأ حدوثه، فإذا نزل المطر عليه، واختلط بذلك المطر، أي: اتصل كل واحد منهما بالآخر، اهتز ذلك النبات وربا وحسن، وكمل، واكتسى كمال الرونق والزينة"(٥٣).

ويمكن **أن** يكون المراد اختلط الماء بالأرض، ثم استأنف به نبات الأرض(٥٤).

قال الله تعالى: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "نبت بالماء كلُّ لون، مما يأكل الناس من الحبوب والثمار، والأنعام من الحشيش"(٥٥). والمراد بقوله: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾، الزروع والأشجار، ونحوها مما يأكل منه الناس، أما قوله: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾، فيريد به: سائر الأعشاب المرعية والحشائش(٥٦)؛ وذلك لأن المطر إذا نزل فإنه ينبت بسببه أنواعٌ مختلفة من النبات، وتكون مختلطة، وهذه يستفيد منها الناس والأنعام(٥٧). وقال القرطبي: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾: من الحبوب والثمار والبقول. (والأنعام): من الكلأ والتبن والشعير(٥٨).

---

(٥٣) التفسير الكبير، الرازي ٢٣٦/١٧.

(٥٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٤/٣.

(٥٥) معالم التنزيل، البغوي ٤١٦/٢.

(٥٦) ينظر: المحرر الوجيز ١١٤/٣.

(٥٧) ينظر: التفسير الكبير، الرازي ٢٣٦/١٧.

(٥٨) البحر المحيط، لأبي حيان ٣٧/٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٢٦/٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

بين الله بهذا أن النباتَ أزواجٌ شتى، مختلفة الأنواع والأصناف، وكونها كافية للناس فيما يقتاتون ويأكلون، وكذلك كافية للأنعام فينالون مراعيها من هذا الزروع التي تنبت بسبب ذلك المطر النازل من السماء، فهو كل مرام آمالهم ومبتغاهم(٥٩).

"وَقَوْلُهُ: ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وصف لنبات الأرض الذي منه أصناف يأكلها الناس من الخضروات والبقول، وأصنافٌ تأكلها الأنعام من العشب والكلأ، وذلك يشبَّه به ما ينعَم به الناس في الحياة من اللذات وما ينعم به الحيوان، فإن له حظًا في نعيم الحياة بمقدار نطاق حياته.

ولما كان ذلك قد تضمن المأكول والآكل صحَّ أن تُشبَّه به رغَبات الناس في تناول لذائذ الحياة على حسب اختلاف مراتب الهمم، وذلك يتضمن تشبيه معالي الأمور من نعم الدنيا التي تسمو إليها الهمم العوالي بالنبات الذي يقتاته الناس، وتشبيهَ سفاسف الأمور بالنبات الذي يأكله الأنعام"(٦٠).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾

والمعنى: حتى إذا تزينت الأرض، وحسنت وابتهجت بالنبات الخارج بسبب الماء النازل، وكان هذا النبات والزهر بألوان متعددة، الأصفر والأحمر والأخضر وغيرها، فإن هذا يعطي الأرض بهاءً وحسنًا(٦١).

قال ابن قتيبة: "زينتها بالنبات، وأصل الزخرف: الذهب، ثم يقال للنقش، وللنَّور، والزهر، وكل شيء زيّن: زخرف"(٦٢). قال الزجاج: "وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته، ولا شيء في تزيين بيت، وتحسينه كالذهب"(٦٣). وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: الزخرف: الذهب. وقال الحسن: الزخرف: النقوش(٦٤).

والزخرف هو عبارة عن اكتمال الحسن للشيء، فشبهت الأرض التي أخذت زخرفتها بالنبات وألوانه المختلفة بالعروس في ليلة زفافها عندما تلبس الثياب الفاخرة من كل لون، وتتزين بجميع الألوان الممكنة في الزينة، من حمرة وخضرة وصفرة، وذهبية وبياض(٦٥).

---

(٥٩) ينظر: تفسير المنار، مُحَمَّد عبده ٢٨٤/١١.

(٦٠) التحرير والتنوير ١٤٣/١.

(٦١) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٣٠/٦، ومعالم التنزيل، البغوي ٤١٦/٢.

(٦٢) غريب القرآن، ابن قتيبة ١٩٥.

(٦٣) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٦٠/٣.

(٦٤) النكت والعيون، الماوردي ٢٧٣/٣، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٤/٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أنّ أهل تلك الأرض قادرون على حصادها، وتحصيل ثمارها(٦٦).

ظنّ أهل الدنيا فيما ينفقون فيها أنه باستطاعتهم وقدرتهم على تلك النفقة، كما ظنّ صاحب الزرع أنه مقتدر على ذلك الزرع الذي نبت وترعرع وأصبح جاهزًا للقطاف والجني(٦٧).

وظنّ أصحاب الأرض وأربابها نفوسهم وقدرتهم على جذاذها، وحصادها، وقطاف خيراتها(٦٨). وحصل معهم أطماع بأن ذلك النبات بعد نموّه وزهوّه وقرب وقت قطافه، وأنه سيستمر ويدوم؛ لأنه تحت إشرافهم وجهدهم ازدهر، وبإرادتهم، وأنهم أصحاب الأمر الكامل فيه، لا منازع لهم فيها، وانتهاء مطالبهم فيه(٦٩).

وقد رد الكناية في (أهلها) إلى الأرض وليس للنبات، وهو المراد من مفهوم السياق، وقيل: ردها إلى الغَلَّة. وقيل: إلى الزينة(٧٠).

أقول: ويمكن أن يكون الكل مرادًا؛ لأن الأرض تشمل: الغلة والنبات والزينة، فكأنه ردّ الكناية إلى الأرض؛ ليشمل الجميع، ويكون أكثر سيطرة وتمكنًا من منفعتها كلها، وتحصيل ثمارها.

قوله تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾

أتاها أمر الله تعالى بالهلاك إما بالريح أو الصَّر أو السموم، وغير ذلك من الآفات كالفئران والجرذان، وأبهم سبحانه وتعالى أمر الهلاك في قوله: ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ ؛ وقد علم ﷻ الوقت الذي يأتي فيه أمره، أو تكون للتنويع؛ لأن بعض الأرض يأتيها أمره ليلاً، وبعضها الآخر يأتيها نهارًا، وتكون لشمول الجميع إذ لا يخرج أحد أو كائن عن وقوعه فيهما(٧١).

---

(٦٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري ٣٤٠/٢، والتفسير الكبير، الرازي ٢٣٧/١٧.

(٦٦) التفسير الكبير ٢٣٧/١٧.

(٦٧) ينظر: تأويلات أهل السنة ٣٠/٦.

(٦٨) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري ٨٨/٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٤١٦/٢.

(٦٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٣٦١، وفي ظلال القرآن، قطب ١٧٧٥/٣.

(٧٠) ينظر: معالم التنزيل، البغوي ٤١٦/٢، ولباب التأويل، الخازن ٤٣٧/٢.

(٧١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٣٩/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

وقال قتادة: معناه أن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله تعالى وعذابه أغفل ما يكون(٧٢). وقال الزمخشري: "﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾، وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم، واستيفائهم أنه قد سلم"(٧٣).

والأمر الآتي واحد من الأمور كالريح والصرّ والسموم ونحو ذلك، وتقسيمه ليلاً أو نهارًا؛ تنبيه على الخوف وارتفاع الأمن في كل وقت(٧٤).

وفي قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾: إشارة لإرادة الاستئصال، فهو إنذار وتهديد للكافرين، ويجعل التمثيل أعلق بحياتهم كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]، لا سيما وقد ضرب هذا المثل لتمتع الكافرين وإمهالهم(٧٥).

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾

يبين الله تعالى أنه ما إن جاء أمره بإهلاك الزرع أو الأرض أو الغلة حتى أصبحت محصودة مقلوعة، كأن لم تكن، وأصله من غني المكان: إذا أقام فيه وعمّره(٧٦).

واستخدم هنا حرف العطف الفاء، والذي يفيد الترتيب والتعقيب من غير تراخ(٧٧)، ويدل هذا على أن أمر الله تعالى نافذ بمجرد صدوره بلا تأخير ولا توان، فهو على كل شيء قدير، وبيده الأمر والتدبير.

وجاء بالحصيد على وزن فعيل، على معنى مفعول، والمراد به هنا: محصودًا، وعبر بـ (حصيد) عن التالف الهالك من النبات، وإن لم يهلك، إذ الحكم فيهما واحد، وكأنّ الآفة حصدته قبل أوانه، وقوله: ﴿لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾، أي: لم تنعم، ولم تنضر، ولم تغر بغضارتها(٧٨). وقال السمعاني: "المعنى هاهنا: هو الاستئصال بالعذاب"(٧٩)

---

(٧٢) معالم التنزيل، البغوي ٤١٦/٢، ولباب التأويل، الخازن ٤٣٧/٢.

(٧٣) الكشاف، الزمخشري ٣٤١/٢.

(٧٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٤/٣.

(٧٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٣/١١

(٧٦) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي ١٢٧/٥-١٢٨.

(٧٧) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني ٣٦٧.

(٧٨) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٥/٣.

(٧٩) تفسير القرآن، السمعاني ٣٧٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

والتي جُعلت حصيدًا، الأرض، وقيل: الغلّة، وقيل الزينة،(٨٠) والذي جعل حصيدًا عند الزمخشري هو الزرع بعد إصابته ببعض العاهات، تشبيهًا بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله، فكأن لم ينبت(٨١).

قال الماوردي: "وفي المراد في حصيدًا وجهان: أحدهما: ذاهبًا، والثاني: يابسًا. وفي ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ أربعة تأويلات: أحدها: كأن لم تعمر بالأمس، قاله الكلبي. الثاني: كأنه لم تعش بالأمس، قاله قتادة، ...، والثالث: كأن لم تقم بالأمس. من قولهم: غني فلان بالمكان: إذا أقام فيه، قاله علي بن عيسى. الرابع: كأن لم تنعم بالأمس، قاله قتادة أيضًا"(٨٢).

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنه لم توجد، ولم يقم بالأرض بهجة وخضرة ونضرة تسرّ أهلها.

والأمس: مثلٌ في الوقت؛ كأنه قيل: كأن لم تغن آنفًا، وليس أمس عبارة عن مطلق الوقت، ولا هو مرادف كقوله: آنفًا، معناه الساعة، وبهذا يكون المعنى: كأن لم تكن وجود فيما مضى من الزمان، وشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدِّرَ انتفاء وجوده في الزمان الماضي؛ لسرعة انتقاله من حالة الوجود إلى حالة العدم، فكأن حالة الوجود ما سبقت له(٨٣).

وجاء القرآن بقوله: ﴿حَصِيدًا﴾ ، وهو عادة ما يستخدم مع الحنطة والشعير وما شبههما، وهو أمر سهل سريع، ولا يختلف على الله صعوبة أو سهولة؛ ولكنه تقريب لأفهامنا في سرعة التنفيذ وسهولته، وهذا متناسب مع الآية تمامًا؛ فقبلها جاء أمر الله تعالى بغتة ليلاً أو نهارًا، وأمر الله تعالى لا بد أن ينفذ ويتم، وبعدها كأن لم تكن موجودة، وهذا يحتاج إلى سرعة في الإنجاز، تنفيذًا للأمر الإلهي، فما إن أتى أمر الله تعالى حتى أصبحت محصودة، لا أثر لها. ....

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

يبين الله تعالى الحجج والبراهين والأدلة لقوم يُعمِلون عقولهم ويتفكرون بها، فيعتبرون بما ضرب بهذا المثل من زوال سريع للدنيا من أهلها على الرغم من اعتزازهم بها، وتمكّنهم منها، وثقتهم بمواعيدها، وتفلّتها عنهم، فإن من طبعها الهروب ممن طلبها، وطلبها لمن هرب منها(٨٤).

---

(٨٠) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٤٨٠.

(٨١) ينظر: الكشاف ٢/٣٤١.

(٨٢) النكت والعيون، الماوردي ٢/٢٣٠-٢٣١.

(٨٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان ٦/٣٩.

(٨٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١١/٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

يقول أبو السعود: "﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في تضاعيفها ويقفون على معانيها، وتخصيصُ تفصيلِها بهم؛ لأنهم المنتفعون بها ويجوز أن يُراد بالآياتِ ما ذُكر في أثناء التمثيلِ من الكائنات والفاسداتِ وبتفصيلها تصريفُها على الترتيب المحكيِّ إيجاداً وإعداماً، فإنها آياتٌ وعلاماتٌ يُستدلُّ بها من يتفكر فيها على أحوال الحياةِ الدنيا حالاً ومآلاً"(٨٥).

وبيان الله تعالى للناس لمثل الدنيا في هذه الآية وغيرها، يتبعه بيان لأمثلة أخرى بآيات وحجج وبراهين، وأدلّة لمن يعتبر ويتفكر فيها؛ ليكون هذا التفكر سببًا يوجب على صاحبه زوال الشكل والشبهة التي في قلبه، فكأن هذه الآيات عبارة عن مواعظ، تنبّه صاحب العقل المفكر بأن لا يغترّ في الدنيا وزوالها، وعليه أن يعرف من خلال الآيات التي بيَّنها الله تعالى، أن الآخرة هي دار القرار، وأنها هي المطلب للمؤمن،﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤](٨٦).

والتفكر: التأمل والنظر، وقد خص الله تعالى المتفكرين بذكرهم؛ تشريفًا لها ورفعًا لمنزلتهم، وليكون هناك تسابقًا في هذه الرتبة والمنزلة(٨٧)، وفيه كذلك تعريض بأن من لا ينتفع بتلك الآيات ليسوا من أهل التفكر والتأمل، وأن تفصيل الآيات ليس لأولئك الذين لم يتفكروا ولم يتأملوا، ولم يعملوا عقولهم فيها(٨٨).

الهدايات:

١ – بلاغة القرآن الكريم في تشبيه الحياة الدنيا بسرعة زوالها وفنائها وأنها لا تدوم، فهي فانية كما هو النبات الذي يسقيه الماء ثم يزدهر وينمو فتصيبه جائحة، فيفنى ويزول.

٢ – بيان قدرة الله تعالى على إعادة الحياة كما أن الماء يعيد للأرض حياتها وتزينها وزخرفتها.

٣ – الماء عنصر إنماء وإحياء إذا كان بقدر مناسب، وإذا كان أكثر من ذلك وزاد عن حده انقلب إلى ضده، فأصبح عنصر إهلاك وتدمير وإفناء، كما في قصة سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ [هود:٤٢].

٤ – الحياة الدنيا قصيرة فانية، عابرة، وليست حياة استقرار ودوام، يستفيد منها المؤمن لبلوغ الحياة الحقيقية، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾[العنكبوت:٦٤]، ويتمتع بها الكافر متناسيًا، أو غير مؤمن بما بعد الموت.

---

(٨٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٣٦/٤.

(٨٦) ينظر: جامع البيان، الطبري ٥٧/٥، ولباب التأويل، الخازن ٤٣٨/٢، وبحر العلوم للسمرقندي ١١١/٢.

(٨٧) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٥/٣.

(٨٨) ينظر: التحرير والتنوير ١٤٤/١١.

٥ – شبهت الحياة بالماء؛ لأن الماء غير مستقر في وضع، وكذلك الحياة الدنيا لا تبقى على حال واحد، ولا تستقيم لأحد؛ لأن الأصل فيها عدم الاستقرار والتبدل.

٦ – الهلاك والموت لا يأتيان بعلم مسبق، وموعد معروف، ولكنهما يأتيان فجأة، فلا يعرف موعدهما إلا الله.

٧ – قد يأتي الإهلاك والموت بلحظة غير متوقعة البتة في عز الشباب أو في أفضل الحالات، وفي تمام القوة والتمكن من الدنيا.

٨ – في الآية تحذير للمتمسكين بالحياة الدنيا والمتشبثين بها بأن لا يأمنوا لهذه الحياة، فهي مليئة بالمفاجآة، ومن غير أن يشعر بها.

٩ – كل ما في هذه الحياة الدنيا سوى عبادة الله تعالى والأعمال الصالحة لوجهه الكريم هي من زخارف الدنيا وزينتها، فالزينة والزخرف ليس من أصل الدنيا وذاتها، وإنما طارئ عليها وزائد.

المبحث الثاني: تفسير آية سورة الكهف (٤٥)

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ﴾

مناسبة الآية لما قبلها: جاءت هذه الآية الكريمة بعد ذكر قصة الرجلين صاحبِ الجنة وصاحبِه، وقد كان المشركون يحسبون أن العالم لن يفنى، ولا يزول؛ وكان أعظمُ حائل بين المشركين وبين النظر في أدلة الإسلام انهماكَهم في الإقبال على الحياة الزائلة، واعتقادَهم أن لا حياة بعد هذه الدنيا، ولذلك قال قائلهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، وما كان أحد الرجلين في القصة إلا من هذا الصنف الذي لا يؤمن بيوم القيامة، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يضرب لهم مَثَلَ الحياة الدنيا التي غرّتهم زينتها وبهارجها وبهجتها (٨٩).

يقول الرازي: "والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقراء المؤمنين، فقال: واضرب لهم، أي: لهؤلاء الذي افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين: مثل الحياة الدنيا، ثم ذكر المثل" (٩٠).

---

(٨٩) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٣٠/١٥.

(٩٠) التفسير الكبير، الرازي ٤٦٧/٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

مناسبة الآية لما بعدها: "لما بيَّن تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والانقضاء، مشرفة على الزوال والبوار والفناء، بيّن تعالى أن المالَ والبنين زينةُ الحياة الدنيا، والمقصود إدخال هذا الجزء تحت ذلك الكلّ، وسنعقد منه قياس الإنتاج، وهو أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وكل ما كان زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض، ينتج إنتاجًا بديهيًا أن المال والبنين سريعة الانقضاء والانقراض، ومن المقتضى البديهي أنّ ما كان كذلك؛ فإنه يقبح بالعاقل أن يفتخر به، أو يفرح بسببه أو يقيم له في نظره وزنًا، فهذا برهان باهر على فساد قول أولئك المشركين الذي افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد، ثم ذكر ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار من الأغنياء، فقال: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف:٤٦]" (٩١).

سبب ومكان نزول الآية: لا يوجد لهذه الآية سببٌ خاص بها، وكذلك لم يذكر العلماء لها مكانًا إلا مع غيرها من آي السورة، والسورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السورة مدني إلى قوله جرزًا، والأول أصح(٩٢). وروي عن ابن عباس: إلا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ...﴾ [الكهف:٢٨]، وعن الحسن: إلا هذه الآية، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا﴾ [الكهف:٢٨] وقصة ذي القرنين(٩٣)، ومكيتّها أصحُّ الأقوال.

معاني المفردات:

هشيمًا: من الثلاثي: هشم، وهو أصل يدل على كسر الشيء الأجوف وغير الأجوف، والهشيم من النبات: اليابس المتكسر(٩٤)، والهشم: كسر الشيء الرخو، والهشيم: كل شيء كان رطبًا فيبس(٩٥).

تذروه: مأخوذ من الفعل الثلاثي (ذرو)، وله أصلان: الأول: الشيء يشرف على الشيء ويظله، والآخر: الشيء يتساقط متفرقًا(٩٦)، وأخذه بعضهم من (ذرا)، فيقال: ذرّته الريح، وأذرته تذروه، وتذريه: إذا أطارته(٩٧).

---

(٩١) التفسير الكبير، الرازي ٢١/٤٦٦-٣٦٧.

(٩٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٠/٣٤٦.

(٩٣) درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، الجرجاني ٢/٢٣٦.

(٩٤) مقاييس اللغة، ابن فارس ٦/٥٣.

(٩٥) ينظر: الكليات، لأبي البقاء ٩٦٢.

(٩٦) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/٣٥٣.

(٩٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/١٥٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الإعراب:

اضرب: يجوز أن يكون معناه: اذكر، فيتعدى إلى مفعول واحد، فعلى هذا يكون: كماء أنزلناه: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو كماء. وأن يكون اضرب بمعنى صيِّر، فيكون كماء مفعولاً به ثانيًا (٩٨).

البلاغة:

التشبيه: في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ....﴾ تشبيه تمثيلي مقلوب:

فالتشبيه كونه تمثيليًا فهو تشبيه الحياة الدنيا وما تحويه من زخارف تُعجب المتلهِّي برؤيتها، والمتمتع ببهرجتها وزينتها حتى إذا أفاق من عمايته وجد أن ما كان يتلهى به ويستمتع به باطلٌ لا حقيقة، بالنبات الذي اختلط الماء الهاطل من السماء فنما وزها، ولم تكد العين تستمتع به، والنفس تنشرح له، حتى يبس وجف، وذبل، وأصبح هشيمًا تذروه الرياح.

التشبيه المقلوب: فمن حق الكلام أن يقول: اختلط بنبات الأرض، وذلك أنه لما كان كل من المختلطين موصوفًا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته، أو لما كان الاختلاط هو تداخل شيئين، صدق على كل منها أنه مختلط ومختلط به، وفي عرف اللغة والاستعمال تدخل الباء على كثير غير الطارئ، فلذا جُعل هذا من القلب. وفي القلب نكتة: أنّ كلاً منهما مختلط ومختلط به، وهي المبالغة في كثرة حتى كأنه الأصل الكثير (٩٩).

الإيجاز: اشتملت الآية الكريمة على عدد من أنواع التشبيهات، أشياء بأشياء في معان وأوصاف بحيث لو فصلت لاحتاجت إلى شرح، مع اختصاصها بجزالة اللفظ، وبراعة النظم، وبلاغة المعنى، وحسن السياق (١٠٠).

التفسير التحليلي للآية:

يقول الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾

لقد كان أكبر وأعظم حائل بين المشركين، والنظر في أدلة الإسلام إنهماكهم في الإقبال على الحياة الدنيا الزائلة، ونعيمها، والغرور الذي غرّ طغاة أهل الشرك، وصرفهم عن إعمال عقولهم في فهم أدلة التوحيد والبعث، والتشبث بالحياة، كما في قول الله تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ [المزمل:١١]، وكانوا يحسبون هذا العالم غير آيل للفناء، ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، وما كان أحد الرجلين الذين سبقت قصتهما إلا واحدًا من المشركين، إذ

---

(٩٨) التبيان في إعراب القرآن، العكبري ٨٥٠/٢.

(٩٩) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش ٦١٩/٥.

(١٠٠) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤيد بالله ١٤٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦]، فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يضرب لهم مثل الحياة التي غرّتهم بهجتها وزينتها(١٠١).

يوجه الله تعالى خطابه لنبيه ﷺ بأن يضرب للناس مَثَلَ الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها، ولكن لمن يوجه النبي ﷺ خطابه؟ اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

١ – للمشركين بشكل عام؛ لأنهم لا يؤمنون بيوم القيامة، ويعتبرون الدنيا هي الدار الوحيدة التي يعيشون فيها، وأنها لا تبيد أبدًا.

٢ – للذين رغبوا في الدنيا، وطمعوا بالانتفاع بها، والاستمتاع بها، واختاروها على الآخرة، وسألوا النبي ﷺ أن يطردَ الذي يدعون ربهم بالغداة والعشي(١٠٢).

٣ – لقوم النبي ﷺ بشكل عام(١٠٣).

أقول: والمراد – والله أعلم – أن الخطاب موجهٌ للناس جميعًا على مبدأ القرآن الكريم في العموم، ويؤيد هذا القول قصة الرجلين فأحدهما مؤمن والآخر كافر، فيكون الخطاب موجهًا لكليهما، أي: الناس جميعًا، فهم إما مؤمن وإما كافر.

والمقصود بضرب هذا المثل على قولين(١٠٤): أحدهما: أنّ الله تعالى ضربه مثلاً للدنيا؛ ليدل به على زوالها بعد حسنها، وابتهاجاتها. الثاني: أن الله ضربه مثلاً لأحوال أهل الدنيا، أن مع كل نعمة نقمة، ومع كل فرحة ترحة.

وسميت الحياة الدنيا بذلك؛ لأنها سبقت الأخرى، وقيل: لدنوها إلى الزوال، واختلف في حقيقتها، فقيل: ما على الأرض من الهواء والجو، وقيل: كل المخلوقات من الجواهر والأعراض، والأول أولى، لكن يُزادُ فيه مما قبل قيام الساعة، ويطلق على كل جزء منها مجازًا(١٠٥).

ومن الملاحظ اختلاف مطلع الآية الكريمة عن آية سورة يونس، فقد افتتحت آية سورة يونس عليه السلام بأسلوب الحصر والقصر (بإنما)؛ ليثبت ويؤكد أن الحياة الدنيا رغم كثرة أطوارها وحالاتها ما هي إلا مثل هذا المثل الذي ذكر فيه تفاصيل

---

(١٠١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٠/١٥.

(١٠٢) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ١٧٥/٧، والهداية في بلوغ النهاية، ابن أبي طالب ٤٣٩١/٦.

(١٠٣) ينظر: تفسير البغوي ١٩٤/٣.

(١٠٤) النكت والعيون، الماوردي ٣٠٩/٣-٣١٠.

(١٠٥) إتحاف القاري بدرر البخاري ١١/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الحياة، كما أنه قد سُبقت الأية بالأسلوب نفسه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]، كما ذكر نسيان الناس لأفضال الله تعالى إذ ينجيهم من الكرب، فيبغون في الأرض، فاحتاج الكلام إلى تأكيد، فكان هذا الأسلوب.

أما هنا في آية سورة الكهف، فقد سبق المثل بمثل آخر، وهو مثل الرجلين، وكان فيه إهلاك الجنتين بسرعة وفجأة بعد أن اكتملت نضارتها، وازدانت بثمارها، وحان قطافها، فناسب افتتاحها بالخطاب الموجه إلى النبي ﷺ؛ لأنه في موضع الإنذار والتحذير، وهو بين أظهرهم، ليخوفهم من العاقبة نفسها، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾

يشبه ربنا جل وعز الحياة الدنيا بالماء الذي يهطل من السحاب، فيختلط بالنبات؛ لأن الماء إذا دخل في الأرض فإن النبات ينبت بوجوده، فكأنه اختلط به، فالله تعالى جعل من الماء كل شيء حي(١٠٦).

واختلاط الماء بالنبات يحتمل وجهين: أحدهما أن الماء اختلط بالنبات حين استوى. الثاني: أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء(١٠٧).

واختلاط الماء بنبات الأرض بمعنى التفافه وتكاتفه بسبب الماء، حتى اختلط النبات بعضه ببعض، وقيل: نجع في النبات الماءُ حتى ارتوى، وازدهر، وبرق وتلألأ، وكان حق اللفظ على هذا التفسير: فاختلط بنبات الأرض، ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بالصفة التي اتصف به الآخر(١٠٨).

"قالت الحكماء: شبّه الله تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع وحال، كذلك الدنيا لا تبقى لأحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة وكذلك الدنيا، ولأن الماء يفنى كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتلّ، فكذلك الدنيا لا يسلم من آفاتها وفتنتها أحد، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعًا مبقيًا، وإذا جاوز الحد المقدّر كان ضارًّا مهلكًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضرّ"(١٠٩).

قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾

---

(١٠٦) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي ٣٤٩/٢.

(١٠٧) النكت والعيون، الماوردي ٣٠٩/٣.

(١٠٨) ينظر: الكشاف، الزمخشري ٧٢٥/٢.

(١٠٩) الكشف والبيان، الثعلبي ١٧٣/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

يقول الله تعالى عز وجل بعد اختلاط الماء بالنبات، وصار ذلك النبات وارفًا مورقًا حسنًا، أصبح ذلك النبات يابسًا متفتتًا، تطيره الرياح، وتفرقه(١١٠).

فأصبح: عبارة عن صيرورته إلى ذلك؛ لا أنه أراد اختصاصًا بوقت الصبح، وقيل: هي دالة على التقييد بالصباح؛ لأنّ الآفات السماوية أكثر ما تطرق ليلاً، فهي كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١] (١١١).

في الآية الكريمة هذه لم تمر الحياة بشكلها الطبيعي، ومراحلها المعتادة، وإنما جاءت بشكل مباغت ومفاجئ، فبعد أن نزل الماء واختط بنبات الأرض صار هشيمًا يابسًا مفتتًا، دون سابق إنذار، أو مقدمات، وهذا تشبيه لمن قد يموت وهو شاب في ريعان شبابه وقمة قوته، وكمال جسمه، ونضارة وجهه، منتشيًا بذلك فرحًا بها، فيأتيه الموت بغتة. وبهذا تختلف عن آية سورة يونس التي ذكر فيها بعض مراحل الحياة والوصول إلى مرحلة القوة والكمال، فالموت في كلا الحالتين مفاجئ، ولكن في سورة يونس بين الوصول إلى القوة والكمال، ثم جاء الموت على تلك الحالة، أما هنا لم يبين الوقت ولا المراحل، وكأنه لا مدة بين الحياة والموت، أو أنها أقصر مما يتوقع الإنسان.

قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾

معنى قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾، ما أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير، قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، ...، قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء:٩٦]، قال ابن عباس: سمّى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي: لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله(١١٢).قال أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: "فكان تدلّ على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي، وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيًا وحالاً ومستقبلاً، وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن(١١٣).

---

(١١٠) ينظر: جامع البيان، الطبري ٣٠/١٨.

(١١١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان ١٨٥/٧، والدر المصون، السمين الحلبي ٥٠١/٧، واللباب في علوم الكتاب، الحنبلي ٤٩٩/١٢.

(١١٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ١٢٧/٦، كتاب التفسير، باب سورة السجدة.

(١١٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان ٥٣١/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

قال الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين – رحمه الله – : "ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، وقوله: (كَانَ) هذه فعل، لكنها مسلوبة الزمن، فالمراد بها: الدلالة على الوصف فقط، أي: أن الله متصف بالسمع والبصر، وإنما قلنا: إنها مسلوبة الزمن؛ لأننا لو أبقيناها على دلالتها الزمانية لكان هذا الوصف قد انتهى، كان في الأول سميعًا بصيرًا أما الآن فليس كذلك، ومعلوم أن هذا المعنى فاسد باطل، وإنما المراد: أنه متصف بهذين الوصفين "السمع" و "البصر" على الدوام، و (كان) في مثل هذا السياق يراد به التحقيق[١١٤].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾: يقول الطبري فيها: "يقول: وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ [الكهف:٣٥] وإهلاك أموال ذي الأَمْوَالِ الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعْييه أمر أراده[١١٥]".

قال الزجاج: "قادر على الإنشاء والإفناء مقتدرًا، فإن قال قائل: فالكلام كان الله، فتأويله أنّ ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث عنده، وأنه كذلك كان لم يزل، وقال الحسن: أي: كان مقتدرًا عليه قبل كونه. وقال بعضهم: كان من الله بمنزلة كائن ويكون"[١١٦].

الهدايات:

١ – ضرب هذا المثل لأخذ العبرة والعظة للمعتبرين بما يشاهدونه من آيات الله تعالى.

٢ – إقامة الحجة على الذين يعاندون، ويكابرون في إنكارهم ليوم القيامة.

٣ – تقريب الصورة للكفار والمشركين عن الحياة الدنيا وسرعة فنائها، وأن الحياة فيها قصيرة مهما بلغ الإنسان من العمر عتيًا.

٤ – تبيين قدرة الله تعالى وعظمته وأنه تعالى قادر على كل شيء، ومنها القدرة على الإهلاك والبعث والنشور والإعادة بعد الموت.

٥ – حكمة الله تعالى وأنه خلق كل شيء بقدر معلوم، ولوقت معلوم، ومقصود، فلو لم يكن هناك بعث ونشور بعد الموت لكان في خلقهم عبث، والله سبحانه منزّه عن العبث، ولم يخلق شيئًا إلا وفيه حكمة.

---

(١١٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٧٢/٨.

(١١٥) جامع البيان، الطبري ٣٠/١٨.

(١١٦) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٩١/٣، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب ٤٣٩٢/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

٦ – على الإنسان أن لا يغتر بكثرة ما أعطاه الله تعالى من أموال وجاه وسلطان، ولا يستكبر، فالدنيا سريعة الزوال كما ينبت الزرع ويكثر وينتج ألوانًا منها، ثم ما تلبث أن تهلك وتصبح متكسرة تذروها الرياح، فلا يبقى منها أثر ولا مظهر.
٧ – إن الإنسان يمر بمراحل مختلفة، طفولة وشباب وكهولة، وصحة ومرض، ثم موت، وقد يأتيه فجأة دون سابق إنذار، كما النبات يأتيه الماء فينبت ثم يكبر ويشتد، ثم يزهر، ثم يقطف أو يهلك، ويصبح هشيمًا، أو يأتيه سيل جارف فيدمره فلا يبقي منه شيئًا.
٨ – أن الحياة الدنيا لا تستقر على حال، فأحوالها متغيرة، ومتلونة، فيها الخير والراحة والسعادة، وفيها الحزن والمرض والكآبة، فلا يغترّ أحد بها.
٩ – الحث على العمل للآخرة، فهي دار الخلد، والتي يكون فيها النعيم الخالص الذي لا يخالطه كدر وحزن، وهي على حال واحدة، أو يكون فيها العذاب الخالص لا راحة فيه ولا هوادة، ومستمر من غير انقطاع.
١٠ – وصف الله تعالى (كان الله) لا يدل على الماضي فقط، وإنما يدل على أن ما نشاهده من صفة له تعالى هي قديمة موجودة، ولا زالت، وباقية ببقائه ﷻ.

المبحث الثالث: تفسير آية سورة الحديد (٢٠)

قال الله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

في الآية السابقة لهذه الآية جاء فيها قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ... الآية﴾ [الحديد:١٩] بيّن فيها سبحانه وتعالى حال فريقين اثنين، الفريق الثاني اطمأن للحياة الدنيا، وأشير إليه أن هذه الحياة من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء، فضلاً عن الاطمئنان بها، وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال (١١٧).

(١١٧) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود ٨/٢١٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

أعقب الآيات السابقة التي تحرّض على الصدقات والإنفاق بالإشارة إلى دحض سبب الشح، وأنه التمسك والحرص على استبقاء المال؛ لإنفاقه في لذائذ الحياة الدنيا، مع العلم أنها زائلة وحقيرة، وتزهيدًا فيها؛ لأن التعلق بها يعوق عن الفوز والفلاح، فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩](١١٨).

مناسبة الآية لما بعدها: يقول ابن عاشور: "ففذلكة لما تقدم من قوله تعالى:: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾[الْحَدِيد: ١٢] إلى هنا فذلك مسوق مساق الترغيب فيما به تحصيل نعيم الآخرة والتحذير من فواته وما يصرف عنه من إيثار زينة الدنيا ، ولذلك فُصلت الجملة ولم تُعطف ، واقتُصر في الفذلكة على الجانب المقصود ترغيبه دون التعرض إلى المحذر منه لأنه المقصود.

وعبر عن العناية والاهتمام بفعل السابقة لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يمكن من الفضائل كفعل من يسابق غيره إلى غاية فهو يحرص على أن يكون المجلّي ، ولأن المسابقة كناية عن المنافسة ، أي واتركوا المقتصرين على متاع الحياة الدنيا في الآخريات والخوالف
" (١١٩).

معاني الألفاظ:

لَهْوٌ: من الثلاثي اللام والهاء والحرف المعتل، وهو على أصلين، يعنينا هنا أحدهما: وهو أصل صحيح يدل على شُغُلٍ عن شيء بشيء، فكل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك عنه، ولهيت عن الشيء: إذا تركته لشيء آخر(١٢٠).

تفاخر: الفخر: المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه، يقال: فَخَرت فلانًا على صاحبه: حكمت له بفضل عليه، ويعبّر عن كل نفيس بالفاخر(١٢١).

غيث: من الثلاثي: غيث، وهو أصل صحيح، وهو الحَيَا (المطر) النازل من السماء (١٢٢)، وقيل: هو المطر الخاص بالخير، الكثير النافع؛ لأنه يغاث به الناس(١٢٣). والغيث يأتي بعد جفاف وقنوط الناس، وافتقارهم إلى الماء ويدل عليه قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى:٢٨](١٢٤).

---

(١١٨) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٤٠٠.

(١١٩) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/٤٠٧

(١٢٠) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/٢١٣، ولسان العرب، ابن منظور ١٥/٢٦٠.

(١٢١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ٦٢٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الكفار: الثلاثي (كفر) أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، ويقال لمن غطى درعه بثوبه: قد كفر درعه، والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه، ويقال للزارع: كافر؛ لأنه يغطي الحب بتراب الأرض[١٢٥]، وسمي الكافر كافرًا؛ لأن الكفر غطى قلبه كله[١٢٦].

يهيج: الهاء والياء والجيم، أصلان صحيحان: يدل أحدهما على توازن الشيء، والآخر على يُبْس نبات، وهاج البقل: إذا اصفر؛ ليبيبس، وأرض هائجة: يبس بقلها [١٢٧]، وأهاجت الريح النبت أيبسته، والهيج: الجفاف[١٢٨].

مصفرًا:

مأخوذ من الثلاثي: صفر، وهو لون من الألوان التي بين السواد والبياض، وهو إلى السواد أقرب، وهو اللون الأصفر، وربما سمّت العرب الأسود أصفر[١٢٩]، ومصفرًا، أي: أصبح النبات بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر [١٣٠].

حطامًا: من الثلاثي (حطم)، وهو أصل واحد، وهو كَسْرُ الشيء، وحطمت الشيء: كسرته، والحُطَمَةُ: السنة الشديدة؛ لأنها تحطم كل شيء تلقاه [١٣١]، وأصل الحطام: ما تحطم وتفتت؛ لشدة يبسه[١٣٢].

متاع: من الثلاثي (متع)، يقول ابن فارس: "الميم والتاء والعين: أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير"[١٣٣]، قال الأزهري: فأما المتاع في الأصل: فكل شيء ينتفع به، ويتبلغ به، ويتزود، والفناء يأتي عليه في الدنيا"[١٣٤].

---

(١٢٢) مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٠٣/٤، وينظر: لسان العرب، ابن منظور ٢١٥/١٤.

(١٢٣) تاج العروس ٣١٨/٥.

(١٢٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٨/٢٦.

(١٢٥) مقاييس اللغة، ابن فارس ١٩١/٥.

(١٢٦) ينظر: لسان العرب ١٤٦/٥ وما بعدها.

(١٢٧) ينظر: مقاييس اللغة ٢٣/٦.

(١٢٨) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٩٤/٢-٣٩٥.

(١٢٩) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ٤٨٧.

(١٣٠) ينظر: جامع البيان، الطبري ٢٧٧/٢١.

(١٣١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٧٨/٢.

(١٣٢) القاسمي ١٢٦/٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الغرور: من الثلاثي غرر، وغرّه غرورًا فهو مغرور: خدعه وأطعمه بالباطل، وفلان غِرٌّ: أي ليس بذي نُكر، فهو ينخدع؛ لانقياده ولينه، والغَرور: الشيطان؛ يغر الإنسان بالوعد الكاذب والتمنية (١٣٥).

الإعراب:

(كمثل): الكاف في محل رفع صفة (١٣٦) لـ ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾. وجعله بعضهم نعتًا لـ (تفاخر)، وفيه نظر بتخصيصه له فقط من بين المتقدم، وجوز أن يكون خبرًا بعد خبر للحياة (١٣٧).

ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال من الضمير في (لعب)؛ لأنه بمعنى الوصف، ويمكن أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: ذلك كمثل ، أو هي كمثل غيث(١٣٨).

البلاغة:

الحصر: استعمل ربنا تعالى (أنما) وهي التي تفيد الحصر، وهذا الحصر هنا حصرٌ ادعائي، أي: أنه لم يقصر الحياة على هذه الأشياء الستة، فهناك غيرها، ولكن غالب الناس من شؤون الحياة تنصرف هممهم إلى هذه الستة، والتي إن سلم بعضهم من بعضها، فلا يخلو من ملامسة بعض آخر، إلا من جعل الله أعمالهم في الحياة كلها لوجه الله الكريم بعصمة منه وتوفيق، والحياة يكون فيها أعمال التقى والمنافع والإحسان والفضائل وتعليمها، وغير ذلك من الأعمال الصالحة(١٣٩).

وفي النفي والاستثناء في قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ حصر ادعائي باعتبار غالب أحوال الدنيا بالنسبة إلى غالب طالبيها، فكونها متاعًا أمر مطرد، وكون المتاع مضافًا إلى الغرور أمر غلب بالنسبة لما عدا الأعمال العائدة على المرء بالفوز في الآخرة(١٤٠).

---

(١٣٣) مقاييس اللغة٥/٢٩٣.

(١٣٤) لسان العرب ٣٢٩/٨، وقول الأزهري في تهذيب اللغة ١٧٣/٢.

(١٣٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/٥-١٣، وتاج العروس، الزبيدي ٢١٥/١٣.

(١٣٦) التفسير الكبير، الرازي ٤٦٤/٢٩، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٢٦٦/٥.

(١٣٧)ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٨٨/١٨.

(١٣٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٨٨/١٨، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٠٤/٢٧.

(١٣٩) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠١/٢٧.

(١٤٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٠٧/٢٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الاستعارة التمثيلية: في قوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [الحديد:١٧]، استعارة تمثيلية، شبّه تليين القلوب بالذكر والتلاوة بعد قساوتها ونبوّها عن استماع الحق، والعمل بأوامر بإحياء الأرض الميتة بالغيث، من حيث اشتمالُ كل واحد منهما على بلوغ الشيء إلى كماله بعد خلوّه عنه، أو يكون استعارة تمثيلية لإحياء الأموات بأنه شبّه إحياءها بإحياء الأرض الميتة، وأن من قدر على الثاني قادر على الأول، فحقّه أن تخشع القلوب لذكره.

واستعارة تمثيلية أخرى في قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾، فهو تمثيل للحياة الدنيا في سرعة انقضائها، وقلّة جدواها، بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث أو الكافرون-على خلاف بين المفسرين؛ لأن هؤلاء أشد إعجابًا بزينة الحياة الدنيا(١٤١).

الطباق: وطابق في قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ﴾ بين العذاب، والمغفرة في قوله: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾، ولكنه طباق بين واحد وشيئين، فهو من باب لن يغلب عسر يسرين.

التفسير التحليلي للآية:

قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾

في الآيتين السابقتين في سورة يونس وسورة الكهف، نجد أن الله تعالى قد ذكر فيما سبقهما من آيات حديثًا عن الدنيا وما فيهما من نعم، والعاقبة التي لهم الآخرة، فذكر كشف الضر، والتسيير في البر والبحر، والإنجاء من المصائب، فيما سبق من آية سورة يونس، أما آية الكهف فقد سبقها ذكر الرجلين، وحالهما، والجنة التي يملكها أحدهما، وعدم إيمانه بالله تعالى، وعاقبة ذلك، فلم يحتج في الآية هناك أن يوضح الدنيا، وحالها، أما في هذه الآية – وأعني آية سورة الحديد – فقد سبقت بالحديث عن الآخرة والجزاء فيها، سواء للمؤمنين أو الكافرين، فاحتاج الحديث عن الدنيا تمهيدًا لها بأن تُبيّن وتوضح ماهيتها وحقيقتها، بأنها لعب ولهو ... تزهيدًا منها، والتفاتًا إلى الآخرة التي هي دار البقاء والخلود، والله أعلم.

يوجه الله تعالى خطابه للناس مبينًا لهم ماهية الحياة الدنيا، وموهنًا أمرها ومحقرًا لها، فهي دار لعب ولهو، أي: غرور تنقضي عن قليل، ويمكن أن يكون المشار إليه في هذه الآية هو حال الكافر في دنياه؛ لأن حياته تنقضي على لعب ولهو، وتزيين الدنيا، وتفاخر بين القرناء، وتكاثر بالأموال والأولاد، فيحاول أن يجمع المال بأي طريقة لا يفرق بين حرام وحلال، ويتطاول على أولياء الله بماله وولده، فيفني عمره في هذه الأشياء ولا يلتفت إلى الآخرة والعمل لها(١٤٢).

---

(١٤١) إعراب القرآن وبيانه، درويش ٩/٤٧٠.

(١٤٢) ينظر: زاد المسير ٤/٢٣٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

ويمكن أن يكون الخطاب للمؤمنين، فقال لهم: اعلموا أيها المؤمنون علم استجابة وامتثال لما آمركم به، أنما الحياة الدنيا التي تعيشون فيها ما شاء الله لكم أن تعيشوا (١٤٣).

وهذا الذم الموجه للدنيا؛ لاشتمالها على أشياء لا تدوم، ولا تجدي، فالحياة في الآية عبارة عن الأشغال، والتصرفات، التي تختص بالحياة الدنيا، وأما ما كان من الطاعات، وضروري لما تقوم به الحياة وأودها، فهذا ليس مندرجًا في هذه الآية والمتأمل لحياة الأغنياء والملوك بعد فقرهم، يبين أن جميع نزوتهم لعب ولهو(١٤٤).

في وصفه تعالى للحياة الدنيا بهذه الأوصاف يريد أن يبين أن الدنيا عبارة عن أمور حقيرة تافهة زائلة، وهي اللعب والزينة والتفاخر، وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظيمة باقية ومستمرة، فهي إما عذاب مستمر في جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، أو جنة عرضها السماوات والأرض، نعيم مستمر غير منقطع(١٤٥).

يقول الكرماني: "الدنيا لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشباب، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الإخوان، وتكاثر كتكاثر السلطان" (١٤٦).

"وذكر الحياة الدنيا بهذه الصفات؛ لمقابلتها ومقارنتها بحياة الآخرة؛ لأن الدنيا بنيت على الفناء والانقطاع والزوال القريب، والآخرة على الدوام والبقاء، ومصداقه قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء:٧٧]؛ لأن الآخرة باقية، والدنيا فانية. ويمكن أن يكون ذلك لمن جعل الحياة الدنيا للدنيا خاصة، ومن جعل الحياة الدنيا زادًا للآخرة، وبُلغة إليها فهي ليست كذلك، أي: لعب ولهو، وهو ما قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران:١١٧]، أخبر تعالى أن الإنفاق للدنيا مثل الريح التي فيها برد شديد التي تهلك الحرث، وفي النفقة التي تنفق في الدنيا من أجل الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ...﴾ [البقرة: ٢٦١](١٤٧).

---

(١٤٣) التفسير الوسيط، طنطاوي ٢١٩/١٤.

(١٤٤) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٦٦/٥، والبحر المحيط، أبو حيان ١٠٩/١٠-١١٠.

(١٤٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري ٤٧٨/٤، والتفسير الكبير، الرازي ٤٦٣/٢٩.

(١٤٦) غرائب التفسير، الكرماني ٢٦٥/١.

(١٤٧) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٥٢٨/٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

وصف الله تعالى الحياة الدنيا بهذه الصفات مجملاً فيها ما يعيشه الإنسان من أطوار مختلفة، ورتبها بحسب ترتيبها في حياة الناس، فبدأ باللعب، وعادة ما يكون اللعب في دور الطفولة والصبا المبكر، وهذه حقيقة اللعب، والأصل فيه، وربما يطلق على مناقض الجدّ، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥﴾ [الأنبياء:٥٥]، ثم أردف ذلك باللهو، وهو عادة ما يكون في دور الشباب والفتوة، واللهو أعم من اللعب، فقد يلهو الكبير في أمور، يضيق صدره من أمر فيلتهي عنه بأمور أخرى لفترة من الزمن، ثم أتبع ذلك بذكر الزينة، والتي هي مقصد الشباب وبخاصة النساء وذلك في بداية اكتمال أنوثتهن، فلم يعد يرضين بما يلبسهن أمهاتهن كما كنّ في مرحلة الطفولة، ثم ذكر التفاخر، ويكون هذا في مرحلة الرجولة عادة، إذ يتفاخرون بالأنساب والأعمال الخاصة أو أعمال آبائهم، وقد ينسب في مفاخرته أعمالاً في الخير والصلاح أو ما شابه له، أو لآبائه وأهله لم يقوموا بها أصلاً، كالشجاعة والإقدام والكرم وإغاثة الملهوف. ثم ذكر التكاثر في الأموال والأولاد، وهذه مرحلة جادة يعمل فيها على جمع المال، وإنجاب الأولاد؛ فالحياة تقوم على هذه الأساسين، ولا تستديم الحياة بلا مال وأولاد، وقدم المال في الآية؛ لأن الإنسان عادة ما يشتغل في المال أكثر، ويجتهد في جمعه وقتًا أكبر، فيحتاج لجمعه الكدَّ والعمل، والذهاب إلى الأسواق، وأماكن العمل فيبقى فيها وقتًا طويلاً، يبتعد فيه عن الأهل والولد. وكذلك يمكن أن يكون الاهتمام بالمال أكثر من الولد إذا الناس تبدي احترامًا وتقديرًا لصاحب المال وتحترمه أكثر من صاحب الأولاد، وإن كان كثر.

يقول الرازي رحمه الله: "اعلم أن الحياة الدنيا حكمة وصواب، ولذلك لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ...قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، ولولا أنها حكمة وصواب؛ لما قال ذلك، ولأن الحياة خلقُه، كما قال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾[الملك:٢]، وأنه لا يفعل العبث على ما قال:﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ [المؤمنون:١١٥] ، ...، ولأن الحياة نعمة، بل هي أصل لجميع النعم، وحقائق الأشياء لا تختلف بأن كانت في الدنيا أو في الآخرة، ولأنه تعالى عظّم المنّة بخلق الحياة، فقال: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٢٨]، فأول ما ذكر من أصناف نعمه هو الحياة، فدلّ مجموع ما ذكرنا على أن الحياة غيرُ مذمومة، بل المراد أنّ من صرف هذه الحياة الدنيا لا إلى طاعة الله، بل إلى طاعة الشيطان، ومتابعة الهوى، فذاك هو المذموم"(١٤٨).

(١٤٨) التفسير الكبير، الرازي ٤٦٣/٢٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾

يضرب الله تعالى مثلاً آخر للحياة الدنيا بعد أن ذكر صفات الحياة وأنها لعب ولهو... بقوله: ((كمثل غيث))، والغيث هو المطر ينزل من السماء بعد أن يقنط الناس، وتكون قد جفت، فينبت به الزرع، وهذا النبات يعجب الكفار. والمراد بالكفار هنا على قولين(١٤٩):

الأول: ما قاله عبد الله بن مسعود ﷺ: المراد من الكفار: الزرّاع، وقال الأزهري: والعرب تقول للزارع: كافر؛ لأنه يكفر البذر الذي يبذره فيغطيه بتراب الأرض، وسمي الكافر كافرًا؛ لأنه يغطي الحق بالباطل. ومن قال بهذا القول برره بأن الزارع هو أعرف الناس بالنبات، وأبصرهم به، وأكثرهم إعجابًا به حين استوائه على سوقه، فإذا أعجب الزارع نباته مع علمهم به وبحسنه في الأصل، فقد وصل إلى أفضل الحسن وغايته، واكتمل، فلا يعجبهم إلا المعجب به حقيقة، والذي لا عيب فيه.

القول الثاني: إن المرادَ بالكفار هنا: الكفار بالله تعالى؛ وذلك لأنهم شديدو الإعجاب بالدنيا وزينتها وزخارفها وحرثها من المؤمنين، وكذلك لأنهم يرون أن السعادة في هذه الدنيا ولا سعادة سواها. ورجح هذا القول السمرقندي بقوله: والطريقة هذه أحسن إن أراد به الكفار؛ لأن ميلهم للدنيا أشد.

والذي أراه –والله أعلم– أن المراد به اللفظان، وهذا من عادة القرآن أن يريد العموم، ويعطي للفظ أكثر من معنى إذا احتاج إلى ذلك، فيكون المراد هنا: الكفار بالله تعالى، والكفار: الزراع، فكلاهما له مبرره ويحتمله المعنى القرآني.

وبعد أن يخضرّ ذلك الزرع، ويُرى حسنه من قبل أصحاب الزراع، ويعجبهم ذلك، فيهيج ذلك النبات ويتكسر ويبس ويجف، ويصبح محطمًا ومتكسرًا لا نفع فيه، فينتهي ويفنى(١٥٠).

وجاء ذكر الغيث هنا مختلفًا عن الآيتين السابقتين؛ لاختلاف الحالة إذ هنا يتماشى مع السياق، أشد من ذكر الماء، فبعد وصف الحياة الدنيا بتلك الصفات، التي لا يرجى منها فائدة؛ لأنها لا تنفع في الحياة الآخرة التي هي الدار الدائمة المستديمة، التي يجب أن يُعمل لها، فزينة الحياة الدنيا التي يمر بها الإنسان بهذه الطريقة هي مرحلة جفاف، ولكنها تعجب أصحابها الذي أغرموا بها، وعاشوا لأجلها، فتزدهر لهم في لحظتها وأوانها، لكنها سرعان ما تتلاشى، وتذهب بالموت المفاجئ، الذي لا يبقي لها أثرًا.

لماذا خص الله تعالى الكفار بعجبهم بذلك النبات على الرغم من أنه قد يعجب أهل الإيمان؟

---

(١٤٩) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي ٤٠٨/٣، والتفسير الكبير، الرازي ٤٦٤/٢٩، واللباب، الحنبلي ٤٨٧/١٨.

(١٥٠) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٢٤٤/٢، والنكت والعيون، الماوردي ٤٨٠/٥، وزاد المسير، ابن الجوزي ٢٤٤/٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

لقد خص الله تعالى الكفار بعجبهم بذلك النبات؛ لأنهم يعجبون بظاهر النبات، وما يرون فيه من زينة واكتمال مظهر، ولا ينظرون إلى ما ضمن في ذلك النبات، وما جعل فيه من المنفعة في العاقبة، أما المؤمنون فإنما يعجبهم ما في ذلك النبات من المنفعة في العاقبة، وإلى ذلك يكون نظرهم لا إلى ظاهره، وهو كما شبه إنفاق الكفار في هذه الحياة الدنيا بالصَّرِّ الريح التي فيها برد شديد قارص يصيب حرث قوم؛ لأنهم لا يقصدون بإنفاقهم إلا الإنفاق ذاته، وشبّه نفقة أهل الإيمان بالحبة التي أنبتت سبع سنابل، تحمل كل سنبلة مئة حبة؛ لأن مقدمهم من هذا الإنفاق عاقبته، وهي رضا الله تعالى، لا مقصدهم الإنفاق نفسه (١٥١).

أما صورة هذا المثل، فهي: "أن الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس، ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط، فيشيب ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموت ويضمحل أمره، وتصير أمواله لغيره، وتغير رسومه، فأمره مثل مطر أصاب أرضًا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق" (١٥٢).

وذكر الحطام في هذه الآية الكريمة في تسلسل عظيم، وزيادة عذاب للمشاهد الكافر أو المزارع، فبعد أن أعجب الكفار النبات، وهو ينظر إليه متعجبًا من خضرته ونضارته وحسنه، فإذا هو ييبس شيئًا فشيئًا متحولاً إلى لون أصفر دلالة على الجفاف واليباس، فيتبع ذلك مباشرة التحطم والتكسر، والذي يكون عادة للنبات اليابس الجاف، والحدث متتابع متاول متراخ، وذلك واضح بدخول (ثم) التي تفيد التراخي والتوالي، وتحتاج إلى فترة من الزمن لحدوث الحدث التالي.

وهذا كلام نفيس في أوجه تشبيه الحياة الدنيا بالنبات ذكره الرازي في تفسيره عن القاضي حسين، فقال:

"**الوجه الأول** :أنَّ عاقبة هذه الحياة الدنيا التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات، الذي حين عظم الرَّجاءُ في الانتفاع به وقع اليأس منه؛ لأنَّ الغالب أن المتمسِّك بالدنيا إذا وضع عليها قلبَه وعظمتْ رغبتُه فيها يأتيه الموت، وهو معنى قوله تعالى :﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام:٤٤]، خاسرون الدنيا وقد أنفقوا أعمارهم فيها، وخاسرون مِن الآخرة مع أنهم متوجِّهون إليها.

والوجه الثاني :في التشبيه: أنَّه تعالى بيَّن أنه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبةٌ تُحمد، فكذلك المغترُّ بالدنيا المحبُّ لها لا يحصل له عاقبةٌ تُحمد.

والوجه الثالث :أن يكون وجه التشبيه مثل قوله سبحانه :﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، فلمَّا صار سعي هذا الزَّارع باطلًا بسبب حدوث الأسباب المهلكة، فكذلك سعي المغتر بالدنيا.

---

(١٥١) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٥٢٨/٩.

(١٥٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٦٦/٥-٢٦٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

والوجه الرابع :أنَّ مالك ذلك البستان لما عمَّره بإتعاب النَّفس، وكدِّ الروح، وعلَّق قلبه على الانتفاع به، فإذا حدَث ذلك السبب المهلك، صار العَناء الشديد الذي تَحمَّله في الماضي سببًا لحصول الشَّقاء الشديد له في المستقبل، وهو ما يحصل له في قلبه مِن الحسرات، فكذلك حال مَن وضَع قلبَه على الدنيا، وأتعب نفسه في تحصيلها، فإذا مات وفاته كلُّ ما نال، صار العَناء الذي تحمَّله في تحصيل أسباب الدنيا سببًا لحصول الشقاء العظيم له في الآخرة.

والوجه الخامس :لعلَّه تعالى إنَّما ضرب هذا المثل لِمن لا يؤمن بالمعاد؛ وذلك لأنَّا نرى الزرعَ الذي قد انتهى إلى الغاية القُصوى في التربية قد بلغ الغاية في الزينة والحُسن، ثم يعرض للأرض المتزينة به آفَة فيزول ذلك الحُسن بالكلِّية، ثمَّ تصير تلك الأرض موصوفة بتلك الزِّينة مرة أخرى، فذكر هذا المثال ليدلَّ على أنَّ مَن قَدرَ على ذلك كان قادرًا على إعادة الأحياء في الآخرة؛ ليجازيهم على أعمالهم إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشرٌّ."(١٥٣).

في هذه الآية الكريمة جاءت النهاية للحياة بشكل متدرج معتاد، أي: على مراحل، وليس دفعة واحدة، فمرحلة الهيجان، وهي اليباس، تبعتها مرحلة الاصفرار، وأخيرًا مرحلة التحطم والتكسر، وهذا تمثيل واضح لحياة الإنسان الطبيعية التي تمر بمرحلة الطفولة، ثم الشباب، ثم الشيخوخة، ويكون بعدها الموت الذي ينهي حياته.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾

وفي الآخرة عذاب شديد لهؤلاء الذين كانت حياتهم كما وصفها الله تعالى في صدر الآية، فاتخذوا الدنيا لعبًا ولهوًا، وصيروها تفاخرًا وتكاثرًا من غير أن يتخذوها زادًا وبُلغة إلى الآخرة، وأنّ الدنيا مآلها الزوال والفناء، وذكر ما يقابل ذلك –على عادة القرآن الكريم– عندما يذكر النار يذكر ما يقابلها الجنة، وهو ما يؤول إليه المؤمنون الذين اتخذوا سبيلاً للآخرة، وعقلوا الآيات التي بينهنّ الله تعالى، فنظروا فيها وتفكروا، وتأملوا، ووضعوها موضعها (١٥٤).

بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ كأنه يقول تعالى: الحقيقة ليست في تلك الدنيا بتلك الصفات، فأقصى ما فيها أنها محطة عبور للحياة الحقيقية: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤]، وذكر العذاب أولاً؛ اهتمامًا به وتحذيرًا، فإذا تحرر من مخاوفه مدّ أمله حينئذ، فذكر الله تعالى ما يُحذَرُ قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان (١٥٥).

---

(١٥٣) التفسير الكبير، الرازي١٧/٢٣٦-٢٣٧.

(١٥٤) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٩/٥٢٨.

(١٥٥) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/٢٦٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

قال الفراء: "وقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾، ذكر ما في الدنيا، وأنه على ما وصف، وأمَّا الآخرة فإنها إما عذاب، وإما جنةً، والواو فِيهِ واو بمنزلة واحدة كقولك: ضع الصدقة فِي كل يتيم وأرملة، وإن قلت: فِي كل يتيم أَوْ أرملة، فالمعنى واحد. والله أعلم"(١٥٦).

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ...﴾ ، قال تعالى ذلك تنفيرًا من الدنيا وأن ينغمس وينهمك الإنسان فيها، وحثًا على ما يوجب كرامة العقبى، ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ ، أي: لمن أقبل عليها، ولم يطلب إلا الآخرة، وفي ذلك قال أهل المعاني: "زهّد الله تعالى بهذه الآية في العمل للدنيا، وهذه صفة حياة الكافرين، وحياة من يشتغل باللعب واللهو"(١٥٧).

أخبر الله تعالى بأن في الآخرة عذابًا شديدًا، ومغفرة ورضوانًا، وهذا معنى حسن، إذ قابل العذاب بشيئين، بالمغفرة والرضوان، فيكون ذلك من باب: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥ – ٦]، كذلك نجده قد نكَّرَ المغفرة والرضوان؛ تعظيمًا لهما (١٥٨).

أقول: إن في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ حث على العمل للآخرة من عبادات ومعاملات، وتحذير من أن يكون العمل لغير الله تعالى، فيجعل كلّ عمله الأخروي والدنيوي لله تعالى، وذلك عن طريق النية الخالصة لله تعالى، وكما في الحديث الشريف، عندما سئل رسول الله ﷺ: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيت إن أتاها في حرام؟"(١٥٩)، وكذلك قوله ﷺ: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك"(١٦٠).

---

(١٥٦) معاني القرآن، الفراء ١٣٥/٣.

(١٥٧) لباب التأويل، الخازن ٢٥٠/٤.

(١٥٨) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي ٤١٧/١٣.

(١٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه، ٦٩٧/٢ (رقم الحديث٥٣/١٠٠٦)، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع معروف، عن أبي ذر ﷺ.

(١٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠/١(رقم الحديث ٥٦)، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾

شبه تعالى الدنيا بالمتاع الذي يدلّس به على من يريد شراء شيء فيسومه، فيغرّ به، ويبيّن له غير حقيقته، ويزين له حتى يشتريه، ثم يتبيّن له فساده ورداءته (١٦١).

قال قتادة: "﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران:١٤]، قَالَ: هي متاع، هي متاع متروكة أوشكت -والله الذي لا إله إلا هو- أن تضمحل عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله."(١٦٢)

قال سعيد بن جبير: "متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع، بلاغ إلى ما هو خير منه"(١٦٣). وقال أيضًا: "الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة، فنعم المتاع، ونعم الوسيلة" (١٦٤).

في فاصلة الآية ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، متوافق مع الآية بشكل واضح، فهو تأكيد لما سبق قوله، فهي تغرّ الكافر المتشبث بها، والعامل لها، أما المؤمن الذي تعلقه بالله تعالى وبمغفرته ورضوانه فالدنيا له ليست إلا متاعًا يتمتع به ليصل إلى جنان الله تعالى(١٦٥). وفي قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، تصغير لشأن الدنيا وما فيها، وتحقير لشأنها، وأنها دنيئة فانية، زائلة لا تدوم (١٦٦).

الهدايات:

١ – أن أمر الدنيا حقير تافه، فهي مبنية على الفناء والانقطاع، أما أمر الآخرة فهو عظيم، إذ هي مبنية على الدوام والبقاء.

٢ – أن من يجعل الحياة الدنيا هدفًا ومبلغًا له، فمثله كمثل الأرض العطشى أصابها الجفاف، فيأتيها الغيث فتزهر الأرض، وينبت الزرع، ثم ييبس، ويصفرّ، ويتحطم.

---

(١٦١) ينظر: الكشاف، الزمخشري ٤٤٩/١، والبحر المحيط ٤٦١/٣.

(١٦٢) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١٩٤٠/٦.

(١٦٣) معالم التنزيل، البغوي ٣٢/٥، وفتح البيان، القنوجي ٤١٧/١٣.

(١٦٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٥٦/١٧، واللباب، الحنبلي ٤٨٨/١٨.

(١٦٥) ينظر: اللباب، الحنبلي ٤٨٨/١٨.

(١٦٦) ينظر: البحر المحيط ١٥٨/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

٣ – أن مراحل الحياة الدنيا متعددة، كمراحل حياة الإنسان تبدأ بالطفولة، ثم الشباب، والرجولة، ومرحلة الاكتمال، ومرحلة الشيخوخة.

٤ – أن الحياة الدنيا ممر للآخرة، فمن عمل فيها صالحًا وغرس غرسًا طيبًا، وصل إلى رضوان الله وجنانه، ومن عمل طالحًا، وغرس غرسًا نتنًا سيئًا، وصل إلى غضب الله تعالى وإلى جهنم حيث العذاب الشديد.

٥ – الحياة ليست مذمومة لذاتها فهي كالأرض تزرع بالصالح والطالح، فمن صرفها في طاعة الشيطان، ومتابعة الهوى، وإلى غير طاعة الله تعالى، فتلك الحياة المذمومة. ومن صرفها في طاعة الله ورضوانه فهي حياة ممدوحة.

٦ – المؤمن ينظر إلى الدنيا بما فيها من أمور طيبة من رضوان الله تعالى فيعمل بها ويستمتع بها؛ لأنها توصله إلى الحياة الحقيقية الطيبة المستمرة، أما الكافر فينظر إلى ظاهر الدنيا وما تحمله من زخارف وزينة وبهارج، تأسره فلا يلتفت إلى ما هو قادم، لأنه لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا، ولا يؤمن بما بعدها، فتوصله إلى نار السموم والعذاب الأليم.

٧ – مهما وصل الإنسان إلى مراتب عالية في هذه الدنيا، ومهما ملك من أموال فإن مصيره الموت المحتوم، عندها يخسر كل ذلك، ويبقى عمله الذي سيحاسب عليه.

٨ – الإنسان يرى الدنيا بحجم كبير، فيرى المال والمرأة شيئًا كبيرًا، فهي تغرّه وتخدعه، ولكن العاقل من نظر إليها بأنها زائلة فانية، إذ لم يخلّد فيها أحد، فقد تركها رسول الله ﷺ، والأنبياء عليهم السلام، فلو كانت بهذا الحجم الكبير لتمسك بها الأنبياء والأولياء والصالحون، ولكنها غرور فانية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

الخاتمة

النتائج:

١ – لا تكرار في القرآن الكريم، وإنْ كان هناك تكرار فهو لفائدة يحددها السياق ويعطي معنى جديدًا يختلف عن غيره.

٢ – الحياة الدنيا دار ممر لا استقرار فيه ولا بقاء ولا دوام، يعبر منها المؤمن إلى رضوان الله تعالى، ويمر الكافر إلى غضب الله وعذابه.

٣ – تنوع ذكر مصير ما تنتجه الأرض من نبات بين الهشيم والحطام والحصيد؛ وذلك تبعًا للحالة التي تتطلبها طريقة نهاية الحياة بالتدرج أم فجأة.

٤ – الماء عنصر إنماء وإحياء إذا كان بقدر مناسب، فإذا زاد عن حده أصبح عنصر إهلاك وتدمير وإفناء.

٥ – شبهت الحياة بالماء؛ لأن الماء ليس مستقرًا في وضع، وكذلك الحياة الدنيا لا تبقى على حال، فالأصل فيها عدم الاستقرار والتبدل.

٦ – كل ما في هذه الدنيا سوى طاعة الله وعبادته والأعمال الصالحة المقربة إليه هو من زخارف الحياة وزينتها، ولا فائدة منه، والفراق مصيره.

٧ – الحياة ليست على شكل واحد، فقد يعيش فيها الإنسان فترة طويلة بمراحلها المعهودة، طفولة ثم شباب ثم شيخوخة، ثم يموت، وقد يفاجئه الموت في عز شبابه.

٨ – إذا قال الله تعالى: (كان الله) فليس المراد أنه في السابق والآن ليس كذلك، بل هو في كان ومازال وسيبقى ببقاء الله تعالى، فهو ليس محلاً للحوادث كي يتغير.

٩ – عدم الاغترار بما يعطي الله من أموال وجاه وسلطان، وعدم الاستكبار؛ لأن الدنيا غير دائمة، ومتقلبة، وأحوالها متغيرة، فمن كان غنيًا اليوم قد يصبح فقيرًا غدا، وهكذا.

١٠ – جاء تشبيه القرآن الكريم للحياة الدنيا مشابهًا لحياة الإنسان، فالإنسان يمر بمرحلة الطفولة والشباب والرجولة، وكذلك الحياة بأطوار مختلفة.

١١ – الراجح في معنى الكفار الذي ذكر في الآية هو أن المعنيين كليهما مراد؛ لأن العموم في اللفظ القرآني مراد، فقد يعطي أكثر من معنى للكلمة الواحدة، إذا أديتا المعنى المناسب للكلمة في سياق الآية.

١٢ – جاءت الحياة الدنيا في الآيات الثلاث على أشكال مختلفة، ففي الآية الأولى جاءت البداية متشابهة مع الآية الثانية من حيث الدخول في المثل مباشرة، ولكن اختلفت النهاية، فقد سُبقت الآيتان بما يدل على الحياة الدنيا وما فيها، ولكن

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

جاءت النهاية في الآية الأولى متدرجة واكتمال مراحل الحياة، ثم تنتهي بالموت، أما في آية الكهف فقد كان النهاية مفاجئة سريعة، وهذا لمن لا تطول حياته، فيموت شابًا أو صغيرًا.

١٣ – اختلفت الآية الثالثة من حيث البدء والخاتمة، فقد ابتدئت بوصف لأعمال الحياة المعتادة، من لعب ولهو وتفاخر...، وهي بهذه الحالة تشبه الحياة المقفرة التي لا فائدة منها، ثم يأتيها الغيث بعد طول جفاف فتنمو النباتات ثم فجأة تيبس وتجف وتصبح حطامًا لا فائدة منه.

١٤ – الحياة ليست مذمومة بذاتها، فهي كالأرض التي تزرع ثم تحصد، فمن يزرع فيها خيرًا يحصد رضوان الله وجنته، ومن يزرع فيها شرًا يحصد منها نيران الله وغضبه.

التوصيات:

١ – دراسة الأمثلة الأخرى الواردة في القرآن الكريم، واستنباط الهدايات منها.

٢ – المقارنة بين الأمثلة المتشابهة في القرآن الكريم، وبيان الفروقات بيها.

٣ – دراسة منهج القرآن الكريم في ضرب الأمثال فيه.

٤ – دراسة استعمال الأنبياء للمثل في دعوتهم إلى الله تعالى.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

آيات مَثَلِ الحياةِ الدّنيا في القرآن الكريم تفسيرًا تحليليًا

Verses The likeness of the Life of the in the Holy Quran Analytical explanation

Prepared by
Dr. / Mohammed Adeeb Mohammed Shakoor Mahmoud Amrir
Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences
Jeddah University - College of Science and Arts – Al Kamel branch

Qur'anic discourse styles vary in meanings for the purpose of understanding and communicating content, and among these methods is the method elaborated by the example, which brings the image to a simple and easy way.
Most of the people adhered to the currant life, and reassured it, until it became their goal, and they left the afterlife, but disbelieved the existence of another life. Hence the Qur'anic discourse came with three examples that talk about the same as the currant life in three position in Quran: Yunus verse (٢٤), and the CAVE verse (٤٥), and the IRON verse (٢٠), in which they show that the first life is a short vanity, with no security and no stability, and it is fleeting, and that it contains decorations, money and children that are nothing but mortal matters that are of no use except what was in obedience God Almighty and His pleasure, and that the real life is the eternal life that is continuous, in which there is no interruption, which is the afterlife, and in which sucking Eternal man sees either a paradise as wide as the heavens and the earth, or a constant, unlimited torture.
The research was divided into the following form: an introduction, a preamble, and three sections. The preliminary talked about the meaning of the proverb in language and idiom, the types of proverb, and its types in the Qur'an, and the first topic: the researcher talked about the verse of Surat Yunus, and the second topic: on the verse of Surat Al-Kahf And the third topic: discussed the verse of Surat Al-Hadid, and the hadith included in the three investigations on an analysis of the verses in terms of the relevance of each verse with what was before and after, the reason and place of its descent, the meanings of the vocabulary, the expressions of some words, rhetoric, the general meaning, then the gaudiness, and the research was concluded with the conclusion That included the most important findings of the researcher.
key words: The likeness of the Life of the Present, The proverb in the Quran

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

المراجع والمصادر

- الأزهري ، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- الآلوسي، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود (١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أم الليث، إتحاف القاري بدرر البخاري، المكتبة الشاملة.
- امرير، مُحَمَّد أديب مُحَمَّد شكور، الفروق اللغوية بين ألفاظ الأخذ في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، مكة المكرمة، العدد (٥٠) رجب، ١٤٣١هـ، ص(١٥٥-١٩٦).
- الأندلسي، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ)،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه=صحيح البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت ١٤٢٢هـ.
- البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ) معالم التنزيل = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي (ت٧٩١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، تحقيق: د. عبد القادر عرفات العشا حسونا، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.
- الترمذي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ١٩٨٥م.
- الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ)، الجامع الكبير = سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن مُحَمَّد (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي مُحَمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ)، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: د. طلعت صلاح الفرحان، ود. مُحَمَّد أديب مُحَمَّد شكور امرير، دار الفكر ناشرون، عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد (ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥١٠هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- الحاكم، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- الحنبلي، عمر بن علي بن عادل (ت٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الخازن، علي بن مُحَمَّد (ت٣٤٩هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: مُحَمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- درويش، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ط٤، حمص، دار الإرشاد، حمص، ودار اليمامة، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٥هـ.
- الرازي، فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الشافعي (٦٠٤هـ)، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- رضا، مُحَمَّد رشيد ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مُحَمَّد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٩٠م.
- الزبيدي، مُحَمَّد مرتضى (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مصر.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السجستاني، مُحَمَّد بن عُزير (ت٣٣٠هـ)، غريب القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أديب عبد الواحد حمران، سوريا، دار قتيبة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت١٣٧٦هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

- السليمان، فهد بن ناصر ، مجموع وفتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين، الطبعة الأخيرة، دار الوطن، دار الثريا، الرياض ١٤١٣هـ).
- السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، بحر العلوم = تفسير السمرقندي، تحقيق: الشيخ علي مُحَمَّد معوّض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن مُحَمَّد (ت٤٨٩هـ)، تفسر القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد مُحَمَّد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد ابن حنبل (ت٢٤١هـ) المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الطبري، مُحَمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الطرابلسي، إبراهيم بن علي الأحدب، فرائد اللآل في مجمع الأمثال، قدم له ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- طنطاوي، مُحَمَّد سيد (ت١٤٣٢هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد الشهير الطاهر (ت١٣٩٣هـ)،التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، عيسى البابي وشركاه، القاهرة.

جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

- العمادي، أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي (ت٩٥١هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن فارس، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الفياض، د. مُحَمَّد جابر (ت١٩٨٧م)، الأمثال في القرآن الكريم، ط٢، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد (ت١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).
- ابن قتيبة، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد بين أبي بكر (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- القزويني، أبو المعالي مُحَمَّد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت.
- القشيري، أبو الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٠م.
- القطان، مناع بن خليل (ت١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢١هـ.
- قطب، سيد قطب (ت١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط١٠، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- القنوجي، مُحَمَّد صديق خان (ت١٣٠٧هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٣م.
- القيسي، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)،الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٠٤ - ١٥٣ (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)

- ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر ابن القيم (ت٧٥١هـ)، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن مُحَمَّد، مكتبة الصحابة، طنطا، ١٤٠٦هـ.
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تفسر القرآن العظيم، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش و مُحَمَّد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.
- الماتريدي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٣هـ.
- ابن ماجه، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت،.
- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد (ت٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، ١٤٢١هـ.
- النسفي، عبد الله بن أحمد (ت٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: مروان مُحَمَّد الشعار، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م.
- النيسابوري، الحسن بن مُحَمَّد (ت٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.